٤٩

كتاب الأهرام الاقتصادى

الإسلام والحكمة الاقتصادية

نحو إطار تحليلى لمعالجة مسائل الشريعة الاقتصادية

د. صلاح اسماعيل الشيخ

العدد ٤٩ - مارس ١٩٩٢ - الثمن جنيهان

كتاب الأهرام الاقتصادى

يصدر شهريا عن مؤسسة الأهرام

رئيس مجلس الادارة :

ابراهيم نافع

رئيس التحرير :

عصام رفعت

سكرتير التحرير :

شهيرة الرافعى

الاخراج الفنى والغلاف :

فائزة فهمى

إهداء 2005

أ.د./ محمد عثمان نجاتي

القاهرة

الاشتراكات السنوية

- جمهورية مصر العربية ٢٤ جنيها
- الدول العربية واتحاد البريد العربى ٥٠ دولارا امريكيا
- الدول الاجنبية ٧٥ دولارا امريكيا

ترسل الاشتراكات بشيك أو حوالة بريدية باسم مؤسسة الأهرام
العنوان : مؤسسة الأهرام القاهرة شارع الجلاء

تليفون : ٧٥٥٥٠٠ ـ ٧٤٥٦٦٦

تلكس : ٩٢٠٠٢

فاكس : ٧٤٥٨٨٨

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر

الإسلام والحكمة الاقتصادية

نحو إطار تحليلي لمعالجة مسائل الشريعة الاقتصادية

د . صلاح اسماعيل الشيخ

رئيس قسم الاقتصاد

بجامعة سانت فرانسيس إكزافيار بكندا



○ العدد ٤٩ - مارس ١٩٩٢

تقديم

بعد أيام يهل على الأمة الاسلامية شهر رمضان المبارك أعـاده الله علينا جميعا باليمن و البركات .

وبهذه المناسبة الجليلة يصدر كتاب الأهـرام الاقتصـادى عـن « الاسلام و الحكمة الاقتصادية » كاطـار تحليلى لمعـالجة مسـائل الشريعة الاقتصادية وقد أعده واحد من أبناء مصر يعد مـن كبـار خبرائنا الاقتصاديين ، هو الدكتور صلاح اسـماعيل الشـيخ وهـو يشغل منصب رئيس قسم الاقتصاد فى جامعة سـانت فـرانسيس ـ اكرافيا ـ كندا

و الكتاب الذى يقع فى تسعة فصول يتمثل فى مضمونه تحليل علمى للاقتصاد فى جوانبه الاسلامية .

وفقنا الله جميعا وكل عام و انتم بخير

رئيس التحرير

الاهداء

لذكرى أبى عرفانا لكل ما وهبنى وأعطانى

صلاح اسماعيل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

« أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال »

صدق الله العظيم

(الرعيد) اية ١٧

القسم الأول

المنهج القرانى والتحرى العلمى

 الفصل الأول :

موضوع البحث واشكالياته

لاشك أن مصر ـ كسائر الدول الاسلامية ـ تشهد حقبة تاريخية بالغة الأهمية ، تثار فيها علامات استفهام جذرية عن طبيعة واصول نظامها الاقتصادى بغية اصلاحه وصياغته على نحو يحقق صالح الأمة ويتسق مع مقدساتها الروحية وتراثها المجيد . فقد دار فى السنوات الأخيرة ومازال حوار معقد بين المتخصصين فى العلوم الاقتصادية والمتخصصين فى علوم الدين وبين من يطلق عليهم « رموز التيار الاسلامى » . ومن شأن هذا الحوار ـ اذا ماتوافرت مقوماته الأساسية ـ أن يسهم فى اثراء عقل الامة الجماعى وأن يتمخض فى النهاية عن تعيين الاصلاحات الضرورية فى مؤسسات الدولة الاقتصادية بحيث يتسنى للأمة الارتقاء والتقدم مرفوعة الرأس فى حلبة التنافس الدولى .

ومن ناحية أخرى اعتقد من خلال متابعتى لهذا الحوار « من بعيد » أنه كثيرا ما يفتقر الى مقومات اساسية فيبدو احيانا وكأنه « حوار الطرش » . وفى تقديرى أن لذلك سببين اساسيين : الأول يتعلق بلغة الحوار والمسميات المستخدمة فيه ، والثانى يتعلق بمنهج الحوار وقواعده . ولست ابتغى هنا فحص هذا الموضوع رغم اهميته الحرجة ، وانما اكتفى فقط بطرح عدة ملاحظات ذات أهمية خاصة لموضوع البحث .

أولا : اننا بحاجة ملحة الى معان واضحة للكلمات الفنية التى يتناولها الحوار خاصة أن دقة الكلمات وجلاء معانيها يحتلان اهمية خاصة فى الثقافة الاسلامية كنتيجة مباشرة لكون القرآن كلمات الله تعالى الأبدية . (١) فما القرآن كما يقول الله تعالى الا « تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت أياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » (٤١ : ٢ ـ ٣) (٢)

ثانيا : اننا نفتقر الى منهج موحد يتفق عليه طرفا الحوار . أى يتفق عليه المتخصصون فى دراسة قوانين حركة المجتمع وتشكيلاته الاقتصادية من ناحية والمتخصصون فى الشريعة والفقه من ناحية أخرى . ولعلنا هنا نقتدى بالسلف الصالح فى العصر الذهبى للاسلام حينما أرسوا وحدة الاسلوب بين ما اسموه « العلوم النقلية والشرعية » و « علوم اللسان العربى » مع « العلوم العقلية والحكيمة » . (٣)

ثالثا : أن غياب المنهج والاسلوب الموحدين يخفى فى طياته مسألة أكثر خطورة واشد حساسية الا وهى ذلك التناقض المفتعل بين العقل والايمان وعلامات الاستفهام التى تثار حول دور العقل فى حياتنا الاجتماعية بصفة عامة والثقافية بصفة خاصة . اذا يخيل الى من بعيد أن ثمة نسبة متزايدة مع امتنا تتنامى فى رفضها العقل باسم الدين . فيكادون يتعاملون مع عقولهم فى دينهم ودنياهم مثل خلعهم لاحذيتهم عند دخول المسجد كما لو كان العقل نجسا . (٤)

رابعا : انه ليس من الصعب ان ندرك ان افتقارنا الى اللغة المشتركة والمنهج الموحد يرجع الى عصور انحطاط وتخلف المجتمع الاسلامى وهو أيضا انعكاس لمحاولاتنا المتذبذبة فى التعامل مع هذا التخلف عبر القرنين الماضيين بعد ان افقنا الى صدمة الاحتلال الأجنبى وتنبهنا الى خطورة السيطرة الأوروبية باعتبارها نتيجة حتمية لوهننا وتخلفنا الاقتصادى .

خامسا : انه من الضرورى لنجاح الحوار سابق الذكر ان نوفر له مناخا ملائما من الحرية المسئولة يلتزم فيه الأطراف بالموضوعية تجنبا لمزالق الخطابية الديموغاغية وأن يتحلوا بحب الحقيقة فى جوانبها المتعددة وبالشجاعة فى الرأى مع احترام الرأى الأخر . اذا أنه فى ظل هذا المناخ فقط يمكن اطلاق العنان للقدرات الخلاقة التى أودعها الله فى عقل الانسان . فى عبارة اخرى اننا فى مسيس الحاجة الى ديمقراطية الحوار ، لا كتكتيك مرحلى مؤقت وانما كمبدأ أو أسلوب استراتيجى لادارة حوارنا الفكرى ولتسيير حياتنا بصفة عامة . ولنتذكر هنا ان هذا الأسلوب ليس بدعة غربية . اذ لا يخرج فى جوهره عن كونه نظيرا حديثا لنظامى البيعة والشورى الاسلاميين

يتناسب مع الأعداد الضخمة من البشر التى تضمها الأمم المعاصرة ومع الطفرة الهائلة فى تقنيات نظم المواصلات والاتصال التى تمخضت عنها الثورة الصناعية . ولنتذكر ايضا ان نظامى البيعة والشورى ينبعان ويرتبطان ارتباطا عضويا . بالقول المأثور « اختلافهم رحمة » (٥) فبدون حرية الحوار وبمقراطيته لا سبيل الى تكوين اللغة المشتركة والمنهج الموحد ، ولا سبيل لتنمية عقل الأمة وتفكيرها الجماعى . وبلغة الاقتصاديين لا سبيل لتنمية ثروة أمتنا الذهنية والفكرية الا عن طريق التخصص وتقسيم العمل فى انتاج الأفكار والانتفاع بمزايا الانتاج الكبير بتوسيع سوق المبادلات الفكرية لتتلاقى عقول الأمة فيها بسهولة ويسر ، ويكون ذلك بتنمية مؤسسات الرأى ألا وهى مؤسسات الديمقراطية . بما فيها الأحزاب السياسية المختلفة .

أخيرا ، وترتيبا على الملاحظات السابقة ، فانه من الضرورى لصحة ونجاح الحوار والبحث فى المسائل والمعضلات الخاصة بنظامنا الاقتصادى أن يسعى اطراف الحوار الى الخروج من قوقعاتهم التخصصية للنهل من معين التخصصات الأخرى بحيث يتوافر لدى كل الأطراف حد أدنى من المعرفة المشتركة لا فى الاقتصاد وعلوم الدين فقط وانما ايضا فى التاريخ والتاريخ الاقتصادى على وجه الخصوص . فهذه المعرفة المشتركة ، فضلا عن كونها شرطا ضروريا للحوار الجاد ، هى ايضا الوسيلة للتعاون بين الفريقين فى مواجهة المعضلات سابقة الذكر .

ولعل من المناسب بعد هذا التمهيد . الدخول الى موضوع البحث بالاشارة الى مقالين وردا فى الأهرام الاقتصادى للتدليل على المشكلة سابقة الذكرى حينما يتطرق الحوار الى مسائل فنية كمسألة الفائدة والربا ، خاصة وأنهما يعكسان أيضا اشكالية العلاقة المعقدة بين العقل والايمان والتناقض المفتعل بينهما .

ففى المقال الأول ، تحت عنوان « فى حقائق الاقتصاد المعاصر ومسألة الربا » ؛ عدد ٩٦٤ الصادر فى ١٩٨٧/٧/٦) يبدأ الدكتور حازم الببلاوى قائلا : « لست أدعى معرفة خاصة بأحكام الشريعة الاسلامية فى مسألة الربا ولكننى أعتقد أن هناك ما يمكن اضافته فى هذا الجانب بمزيد من إلقاء الأضواء على حقائق الاقتصاد المعاصر وخاصة فيما يتعلق بمعرفتنا بظاهرة النقود وطبيعة أسعار الفائدة ، وهى التى يجرى الحوار حولها عادة عند مناقشة مسألة الربا . ثم يستخلص مقاله بقوله : « ان حقائق الحياة الاقتصادية المعاصرة قد اختلفت جذريا وان كثيرا من الأسماء والمسميات لم تعد تعبر عن نفس الظواهر القديمة .. والله أعلم .. (٦)

وفى المقال الثانى (فى عدد ٩٧٠ الصادر فى ١٩٨٧/٨/١٧) كتب الاستاذ صلاح الدين سلطان (معيد الشريعة بكلية دار العلوم) يقترح متهكما تغيير

عنوان مقال الدكتور الببلاوى الى « فى حقائق الاقتصاد المعاصر وحتمية الربا « ويتمنى » ان يقول الاستاذ الدكتور الببلاوى ان سعر الفائدة اداة مخربة لأى اقتصاد بدلا من اعتقاده بأنها اداة فنية لا غنى عنها لأى اقتصاد معاصر لأن الله عز وجل يقول : « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » .. ويقول سبحانه « وما أتيم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله » .. والايمان بذلك واجب ولو لم نعرف العلل والأسباب (٧) ..

ومع احترامنا الكامل لايمان الاستاذ سلطان وتقواه ، فإننا نرى انه بدلا من أن يتوقف عند هذا الحد عملا بالمبدأ الفقهى الرشيد : « من قال لا أعلم فقد افتى » فانه اختار ان يتجاوز هذا المبدأ ليصدر عددا من المزاعم الاقتصادية الخاطئة . فهو يقول اولا : « ان رائد الرأسمالية الحديثة « كينز » يرى ان الربا هو سبب الكساد العالمى ، وان على اى مجتمع يريد ان يحقق اماله فى التنمية ان يصل فى تعامله الاقتصادى الى الدرجة التى يصبح فيها سعر الفائدة صفرا .. » ويضيف ثانية : « أما عن القول بأن سعر الفائدة يغطى جزءا من انخفاض قيمة العملة الورقية فهذا غير صحيح لأنه لا يوجد فى العالم كله معاملة ربوية أو تحديد لسعر الفائدة ويكون مربوطا بمقدار انخفاض قيمة النقود ..(٨)

والهدف من هذا البحث هو المساهمة بطريق غير مباشر فى الحوار الدائرة رحاه حول المسائل والمعضلات الاقتصادية الشرعية (مثل مسألة الربا السابقة الذكر) عن طريق محاولتى لبناء اطار اقتصادى تحليلى (لبحث هذه المسائل) على اساس من حكمة القرآن وهدى رسوله لايمانى بأن فى ذلك الوسيلة المثلى لمعالجة هذه المعضلات فضلا عن توحيد لغة الحوار وطرائقه . وللمساهمة فى هذا الهدف الطموح فاننى أواصل هذا الجزء عن المنهج القرآنى وروح التحرى العلمى بفصلين آخرين إذ ابدأ فى الفصل التالى من البحث بتقديم العلم اى علم الله باعتباره اساس العلاقة بين الخالق وبين ادم بعد سقوطه من الجنة . وفى الفصل الثالث اقدم ما وجدته عن منهج القرآن لعلاقة الايمان بين الخالق ومخلوقه الادمى ودور العقل الانسانى والحكمة فيها وننتطرق من هذا الى الجزء الثانى من البحث لنعالج أصول المشكلة الاقتصادية ومسألة الاختيار الاقتصادى فى الاسلام . ففى الفصل الرابع نبحث المشكلات الاقتصادية وجذورها الكامنة فى نقائص الانسان . ثم نخصص الفصل الخامس لمعالجة موقف الاسلام من نقيصة حب المال ومن النشاط الاقتصادى عموما . وبعد ذلك فى الفصل السادس اتحرى مسألة حرية الفرد المسلم وخاصة حريته فى عقد الاختيارات الاقتصادية التى تحتمها مواجهة المشكلات الاقتصادية وفى الجزء الثالث والأخير من البحث نتقصى مفهومى الحكمة والصراط المستقيم القرآنيين من منظور اقتصادى . ففى الفصل السابع أركز

على مفهوم الحكمة القرانية لتبين قواعد الاختيار الاقتصادى فى مختلف ابعاده ، إسلاميا وفى الفصل الثامن انتهى بالخلاصة رابطا امثليات الصراط المستقيم كما افهمها اقتصاديا بعلم الاقتصاد الغربى وإشكالياته وأتبع ذلك بالخاتمة :

الفصل الثانى :

الله فالانسان والعلم

من الطبيعى ان نبدأ هنا بالبداية : بداية خلق الانسان . فقد خلق الله تعالى الانسان فى شخص ادم من صلصال (اى طين الأرض) ومع ذلك فانه فى حكمته احب الانسان وفضله على سائر الملائكة كما يخبرنا القران . فها هو يصطفى ادم ليجعله خليفة فى الارض رغم صلصاليته « اذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون » (٢ : ٣٠) « وهو ايضاً يختصه دون الملائكة اذ « علم أدم الاسماء » (اى العلم) ثم اعطاه من الجنة موطنا اغدق على آدم وزوجة فيه برغيد المأكل والمشرب وأمن العيش بعد كرمه لعلمه فامر الملائكة « اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » (٢ : ٣٤) .

ولكن ضعف ادم المتأصل فى خامته الارضية جعلت منه فريسة لحنق ابليس ووسوساته فزين لادم وقرينته حواء ان يقتفيا اثره فى عصيان الله فكان جزاؤهما الهبوط من الجنة والسقوط إلى الحياة الدنيا على الأرض . ومذحلت به مأساة السقوط والانسان يعانى من مشقات الدنيا ومحدودياتها ويتحرق حنينا وشوقا الى وطنه الأول (الجنة) التى ما لبث يبحث عنها ويحاول تمثلها

نموذجا لحياته على الأرض وينشدها املا لحياته الأخرى . وحتى ينال الفلاح فإن على الانسان أن يكفر عن عصيانه وألا يتراخى فى مجاهدة نفسه (الجهاد الاكبر) طاعة لله واسلاما ليتمكن من اجتياز طرقات الحياة الدنيا الوعرة من خلال « الصراط المستقيم » (والصراط المستقيم مفهوم محورى ومعقد سنعاود الاشارة اليه) .

وهكذا فان ضعف الانسان الطينى فى مواجهة وعورة طرقات الحياة الدنيا وظلام ابليس ، فضلا عن هول ماساة السقوط كان شأنهما ان يفقداه رشده فاضحى فريسة للجهالة بفقدانه الاسماء (مفاتيح العلم) فتضاعفت اهوال الطريق ومع ذلك فان الله (الرحمن الرحيم) لم يترك بنى ادم دون وسلية ، ومحبة لهم ورحمة بهم . فقد وهبهم ، فى خلافتهم على الأرض ومخلوقاتها ، بعض خيرات الجنة ومتاعها اذ سخر له موارد الأرض من جماد وكائنات ، وفوق ذلك اورثهم العقل وسيلتهم الفريدة تمييزا لهم عن سائر أمم الدنيا من حيوان وطير . وبالاضافةالى ذلك ورحمة بالانسان كان الله قد وعد ادم (بعد توبته) ان يرسل لبنيه الرسل والانبياء ليتذكروا الاسماء (مفاتيح للعلم) كما يتبين ذلك من القرآن الكريم (٢ : ٣٧ ـ ٣٨) وما على الانسان الا ان يتذكر فضل الله الكريم ورحمته . وان يسعى الى تحصيل علمه ليستنير به ويستعين على ظلمات الحياة الدنيا فى رحلته المحفوفة بالمخاطر تجاه الحياة الاخرى ، وان يدرك قدرة الله وبديع خلقه من تأمله لنظام حياته على الأرض والنظام الكونى من حوله . وله ان ينعم بخيرات الأرض والنظام الكونى من حوله . وله ان ينعم بخيرات الأرض شريطة اضطلاعه بمسئوليات خلافته عليها التى توجب عليه استخدام علم الله لصيانة الأرض .

★ تحاشيا للبس والغموض يجب التصريح من البداية أننى أستخدم مصطلح « الأمة » هنا فى معناه الاسلامى الفنى الذى أرساه رسول القرآن الحكيم (فى سماحة وتسامح) ضمن هجرته فى سبيل الحق ـ الى المدينة ـ أرساه كمحور للميثاق التبايعى (أى الديموقراطى) بينه والمهاجرين مع الأنصار وبقية أهل المدينة من غير المسلمين . يسمى هذا الميثاق الوضاء « الصحفية » (تمييزا له عن المصحف) ويسميه المستشرقون « دستور المدينة » . وأساس هذا الميثاق تحقيق صالح الأمة بالتكافل الأمنى والاقتصادى بين جموعها تحت راية رسول الله . إرجع إلى ترجمة نصوص مواد الصحيفة السبع والأبعين (عن الأصل العربى الذى ورد فى « سيرة » إبن إسحاق وإبن هشام) فى كتاب الأستاذ Watt عن « محمد فى المدينة » ص ٢٢١ ـ ٢٢٥ .

ومن عليها من امم اخرى مهتديا بالصراط المستقيم

ومن ثم كانت رسالة خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم فى دعوته للايمان حينما خاطبه الله ليخرج بالدعوة علنا : « يا أيها المدثر . قم فانذر .. وربك فكبر » (٧٤ : ١ ـ ٣) وعندما اوحى اليه ارشادا . « سنقرئك فلا تنسى . الا ماشاء الله . انه يعلم الجهر وما يخفى . ونيسرك لليسرى . فذكر ان نفعت الذكرى . سيذكر من يخشى . ويتجنبها الاشقى » (٨٧ : ٦ ـ ١١) وعندما قال الحكيم عز وجل : « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (٦٢ : ٢) (١١) . فجاء الرسول الامين يعلم بنى ادم ويذكرهم بقدرات الله العليم . الذى خلق نظام الحياة على الارض كجزء لايتجزأ من نظام الكون البديع طبقا لقوانين وسنن محكمة ونواميس دائمة ، فيقول عز وجل انها : « سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٤٨ : ٢٣) ، كما يقول . « سنة من قد ارسلنا من قبلك من رسلنا ولاتجد لسنتنا تحويلا » . (١٧ : ٧٧) (١٢) .

وبما ان قدرة الخالق ليست عشوائية اذ تنتظم فى سنن ونواميس متناسقة تستمد تواترها وديمومتها من دوام الله . فهو يقول ايضا تذكيرا بفضله . وتحديا لعقل الانسان : « الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السماوات . وما فى الأرض واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » (٣١ : ٢٠) .

والآيات السابقة . وهى تجزم بضرورة العلم للايمان بالله . تتكرر فى صيغ متشابهة فى كل القرآن . وتأكيدا لضرورته للايمان فان لفظ العلم ومشتقاته كانت من اكثر الكلمات التى وردت فى المصحف الشريف (١٣) . فهو يذكرنا بان الله . عليم . بكل شىء اذ يقول مثلا . ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم . (٢ : ١١٥) . ومن هنا كان « العليم » احد اسماء الله الحسنى . كذلك تنتشر مشتقات كلمة الجهل (عكس العلم) عبر القرآن فالجهل والجهالة من خصائص الكفار والمشركين (١٤) . وهو يجعل من العلم السبيل الى الحق والحقيقة . وكلمة « الحق » وهى ايضا احد اسماء الله الحسنى ، تنتشر كذلك فى القران(١٥) .

وحيث ان فى نور العلم هداية الانسان الى « الحق » والايمان به اذ يقول تعالى : « هو الذى ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤوف رحيم » (٥٧ : ٩) وحيث ان نور العلم ايضا وسيلة الانسان للاضطلاع بمسئوليات خلافته على الأرض اذ يقول عز وجل : « ولاتقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا » (١٧ : ٣٦) . فقد ارسل الله العليم خاتم الانبياء الحكيم ليمد

الانسان بمفاتيحه حتى يأخذ باسبابه . واذا كان علم الله واسعا لاحدود له اذ يقول : « قل لو كان البحر مداد الكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا . (١٨ : ١٠٩) كما يقول : « ولو انما فى الأرض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم » (٣١ : ٢٧) . واذا كانت حصيلتنا منه ضئيلة مهما كثرت اذ : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (١٧ : ٨٥) ، فانه عز وجل يحضنا ويدعونا الى ان ننهل من معينه الذى لاينضب بقوله مثلا : « يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اتو العلم درجات » (٥٨ : ١١) . وقوله : « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » (٣ : ١٨) (١٦) . ويحتذى الرسول الحكيم دعوة ربه فى الحض على طلب العلم اذ يقول : « من خرج فى طلب العلم فهو ف سبيل الله حتى يرجع . (١٧) .

واذا كان العلم هو وسيلتنا الى الايمان ، اذ كلما نهلنا من معينه الذى لاينضب كلما شاع الايمان لينير البابنا . فان السعى الى العلم يكاد يترادف مع السعى الى الايمان . ولكن اذا كان الامر كذلك ، فما هى وسيلة الانسان فى السعى الى العلم ؟ لاشك ان المتأمل لقران الله سوف لايجد عسرا فى ان يخلص الى ان الوسيلة الى العلم هى عقله الذى اصطفاه الله به ورفعه على سائر اممه . وهذا هو موضوع الفصل التالى .



الفصل الثالث :

المنهج القرآنى للإيمان - العلم والعقل

لاشك أن أبرز ما يتميز به القرآن عن سائر الكتب المقدسة هو منهج الرسالة المحمدية نحو الايمان . فعلى خلاف من سبقه من الرسل والأنبياء لم يلجأ رسول القرآن الى مباراة السحرة او انجاز خوارق الأفعال وانما اعتمد أساسا فى التبشير برسالته على ما تميز به الانسان من مدارك عقلية ، وكانت وسيلته الفريدة فى ذلك هى القرآن واعجازة(١٨) . وبناء عليه من الطبيعى اذا ابتغينا فهم طبيعة المنهج القرآنى ان نبدأ ببداية القرآن . والمتفق عليه بين علماء الدين ان الوحى القرانى بدأ بسورة العلق (١٩) . وبالتالى يس من العجيب ان تكون هذه السورة القصيرة بمثابة المفتاح للرسالة المحمدية فى منهجها وجوهرها ، اذ يقول الله الأحد فى أياتها الأولى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم . كلا ان الانسان ليطغى . ان رءاه استغنى . ان الى ربك الرجعى » (٩٦ : ١ ـ ٨) .

وفى تقديرى المتواضع ان ايات العلق السابقة تمثل على قصرها قمة فى الاعجاز القرآنى شكلا وموضوعا فى تعبيرها عن منهج وجوهر الرسالة بحيث يمكن النظر الى بقية القرآن كتفصيل وتفسير لهذه الايات الاولى . فيأتى بقية الوحى ليذكر بنى أدم بالاسماء ويبين الشواهد على معجزات خلق الله فى جلال نظام الكون وموقع حياة الانسان فيه . ويقص تجارب بنى أدم وأخبارهم عبر عصور التاريخ الغابرة خاصة اذا ما اخفقوا وحادوا عن الصراط المستقيم تحذيرا للتابعين لهم من الاخفاق وتبعاته . ثم يرسم للانسان معالم الصراط المستقيم دستورا لفلاحه فى حياته الدنيا على الأرض ولنجاحه فى الرجوع الى وطنه المفقود فى جنات الحياة الأخرى : واستدلالا على قولى السابق فاننى ادعو القارىء الى التأمل فى آيات العلق السابقة . وخاصة الالفاظ التالية وتكررها وعلاقات ورودها : « اقر » ، « اسم ربك » « خلق » « الانسان من علق » ،

« اقرأ » ، « مالم يعلم » ، « الانسان ليطغى » ، « استغنى » ، « الى ربك الرجعى » .

أعتقد أن المتأمل لهذه الآيات ولبقية القرآن لن يجد صعوبة فى رؤية المدى الذى يذهب اليه القرآن فى الحض على تحصيل العلم والتأكيد على الاقناع والاقتناع كمنهج لتوصيل وترسيخ الايمان بالرسالة وكوسيلة اساسية لحياة الانسان فى الدنيا كجزء لايتجزأ من هذه الرسالة .

فهكذا يروى لنا القرآن كيف ان الله تعالى منذ بدء الخليقة قد ارسل الأنبياء لبنى آدم « بالكتاب والحكمة » كأساس للايمان ومنار لهم فى الاضطلاع بأعباء الخلافة على الأرض اقتفاء للصراط المستقيم فهو عز وجل وقد اعطى مريم العذراء رسول السلام عيسى المسيح يقول : « قالت ربى انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتواراة والانجيل » (٣ : ٤٧ ـ ٤٨) . وهو فى حكمته يذكرنا بفضله ونعمته على عيسى بجانب تعليمه الكتاب والحكمة فيقول : « واذا ايدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرىء الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين » (٥ : ١١٠) ثم يخبرنا كيف انه استمع لدعاء ابراهيم وابنه اسماعيل يبعث لذريتهما رسالة الاسلام : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم » (٢ : ١٢٩) . فاستجاب الله لدعائهما وارسل خاتم الانبياء اذ يقول : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (٦٢ : ٨) . وهكذا كان فى تعليم « الكتاب والحكمة » للمسلمين سند الرسول فى مواجهة جهالة الكفار وظلامهم : « ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » (٤ : ١١٣) .

ولعله من المناسب هنا التأكيد على التلازم فى ورود لفظى الكتاب والحكمة فى الايات السابقة . اذ كان « الكتاب الشريف » مفتاحا لعلم الله وحكمته اما « الحكمة » فهى مفهوم معقد ومركب هى الأقوال الحكيمة او الاحكام والمعارف غير المتناهية فى الضبط والاحكام . وهى ايضا الفلسفة اى معرفة الاشياء والموجودات والحقائق فى احكام بالغ ، وهى اكثر من ذلك اذ بها يتمكن الانسان من استخدام المبادىء والأحكام او « النواميس والسنن التى لاتتبدل »

لمساعدة الانسان فى وسائل عيشه ومسئوليات خلافته على الأرض . وبناء عليه لم يقتصر الله تعالى على مجرد بعث الرسول لتعليمها وانما اهداها ايضا الى بنى الانسان فهو : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب » (٢ : ٢٦٩) ، اى انه منحها الى بنى آدم فلا يقيم لها قدرها ووزنها الا « ذوو العقول » نفعا لهم وخيرا فى حياتهم الدنيا . وترتيبا على ذلك وربما ان العقل هو وسيلة الانسان الفريدة التى اصطفاه الله بها دون غيره من المخلوقات كما يقول : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحية الا امم امثالكم » (٦ : ٣٨) ، فان الله لا يتوانى فى حض بنى آدم على استخدام مارفعهم به من مدارك عقلية وتشغيل ما يميزهم عن سائر المخلوقات من ملكات الفهم والتفكير والتعقل والتدبر وللتأمل فيما حولهم وما فى ذواتهم حتى يتوصلوا الى الايمان بحقيقة الخالق وينعموا بعلمه وفضله عليهم ويتواتر هذا الحض كثيرا فى القران ليصل احدى درواته فى اعجاز سورة الرحمن المدنية (٢٠) ففيها يضرب الأمثال من بدائع وشواهد خلقه التى تتجلى فى سنن ونواميس النظام الكونى ومنافعه للانسان ، وهو فى ذلك يتحدى عقولنا دائما وابدا بسؤاله التعجبى » فبأى الاء ربكما تكذبان » . (٢١) .

وحتى تتبين لنا لحمة وسداة المنهج القرآنى بجلاء فلنرجع الى الحقيقة المحورية وهى ان وسيلة الرسول الاساسية فى دعوته للايمان كانت اعجاز القرآن : اعجاز القرآن اللغوى واعجاز القرآن الموضوعى . فهو يتحدى ويستفز مدارك عقل الانسان من خلال « الايات » : « آيات السور القرانية و« ايات » خلق الله اى علامات وشواهد وجوده . فقد اطلق عز وجل لفظ « الايات » على جمل قرآنه ليس لأنها « ايات » فى اعجاز التعبير اللغوى فقط وانما ايضا لانها تعبير عن « آيات » تنتشر فى ارجاء القران لتؤكد بأن نظام الكون والحياة بنواميسه وسننه التى لاتتبدل » لآيات لاولى الالباب » أى علامات وبراهين لذوى العقول الثاقبة (٢٢) . ورسالة الخالق التى بشر بها الانبياء منذ الازل ، ويعبر عنها القرآن خير تعبير ، هى فى ذاتها ايضا من « بينات » الله ، اى من الشواهد الواضحة الجلية على وجوده وعظمته (٢٣) . ولثقة الرسول التامة فى اعجازية « بينات » القرآن فانه يتحدى الكفار فى وحى ربه ان يأتوا بما يماثل اعجاز كتابه فى سننه ونواميسه وبلاغته ، اذ يقول عن لسان ربه : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله .. » (١٧ : ٨٨) (٢٤) .

وبما ان مدارك عقل الانسان محدودة بالحسيات الخارجية نظرا لضعفه الصلصا لى فلابد ان تكون « البينات « و « الايات » (اى الشواهد والعلامات) هى نقطة البداية لمدارك العقل الحسية اذ « جعل لكم السمع والابصار » (٦٧ : ٢٣) . ومن ثم فان الله يحض بنى آدم مرارا وتكرارا

ليجتهدوا فى تشغيل وتكريس مداركهم الحسية بأن « يسمعوا وينصتوا » وان « ينظروا ويروا » ويجاهد الانسان بحواسه فى تسجيل خريطة الواقع الحسى من حوله . فان عليه ايضا ان يجاهد فى اخضاع « مشاهداته » لملكات عقله وعملياته الابداعية المعقدة اذ يقول الله على سبيل المثال : « اعلموا ان الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينالكم الايات لعلكم تعقلون » (٥٧ : ١٧) . ولتيسير الامر على القارىء يقول : « انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون » (١٢ : ٢) . فهو يحض الانسان على حشد قدرات عقله « فيتدبر » و « يتفكر » فى الايات والبينات » (٢٦) وعموما على الانسان ان « يعقل » و « يتعقل » اى يقوم بتجنيد كل ملكات العقل وقدراته على التعليل والتسبيب والربط والاستخلاص فى مواجهة خريطة المشاهدات .

وهكذا يجد القارىء ان دعوة الله الى « العقل والتعقل » تنتشر فى أيات القرآن . ففعل « عقل » ورد اكثر من خمسين مرة كذلك تكرر سؤال الله التعجبى « افلا تعقلون » ثلاثة عشر مرة على الأقل . (٢٧) ويصف الله الكفار والمشركين مرات عديدة بانهم « ضعاف العقول » او « لا عقل لهم » او انهم « لايعقلون »(٢٨) . وهم فى عدم تعقلهم مثلهم كمثل « الانعام » (مثلا ٢٥ : ٤٤) أو « كمثل الذى ينعق » (٢ : ١٧١) . وعلى ذلك يقول عز وجل : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شىء وهو العزيز الحكيم . وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » (٢٩ : ٤١ ـ ٤٣) . ومن ثم فان على بنى آدم « سماع ورؤية » « الايات والبينات » ثم اخضاع افكارهم لمجهر العقل سعيا الى الحق ، وان لم يفعلوا فهم بمثابة « شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون » (٨ : ٢١ ـ ٢٢) . وفوق ذلك فانه يجب عليهم ان يحرروا عقولهم من عبودية الافكار العتيقة والمعتقدات البالية بالمداومة على فحص أفكارهم باخضاعها لعدسات ما وهبهم من عقول ، فيقول العزيز الحكيم : «واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لايعلمون شيئا ولا يهتدون » (٥ : ١٠٤) . ويقول ايضا « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا أولو كان اباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون . ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون » (٢ : ١٧٠ , ١٧١) .

وهكذا اذا كان الله القدير قد جعل من معجزات خلقه ونظامه الكونى « ايات وبينات » تشهد على وجوده الدائم ودوام السنن والنواميس التى ارساها لتحكم حركة الكون دون « تحويل » أو تبديل » فانه من رحمته على بنى ادم ارسل قرآنه نورا وهدى ليذكرهم ويحضهم على ان « يسمعوا وينصتوا » وان « ينظروا ويروا » ثم « يفكروا ويتدبروا » و « يعقلوا ويتعقلوا » حتى

يتبينوا « أيات وبينات » الوجود الالهى فى سننه ونواميسه فيؤمنوا به .

هذه هى رسالة الرحمن الرحيم التى كلف بها رسوله الامين اذ يقول . « انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل » (٣٩ : ٤١) فما انه فى مقدور الانسان ان يختار بين الانكباب على اعمال ملكات عقله الذى اصطفاه به الله خليفة للأرض (أى يختار الصراط المستقيم) وبين رفض هذا العقل ليبقى « كالانعام » عبدا للبهيمى الفاسد من اهوائه (أى صراط ابليس) ، فانه فى حقيقة الامر يختار بين « علم الله » و « جهالة الشيطان » (٢٩) . اى انه يختار بين الله الذى احبه فعلمه الاسماء واعطاه الجنة واستخلفه على الأرض واممها رغم سقوطه ، ثم رسم له معالم خريطة « الصراط المستقيم » بين واعر طرقاتها ليهتدى بها فى الحياة الدنيا ويعود الى الجنة ان يختار بين هذا وبين الشيطان ابليس الذى « أبى واستكبر » حنقا على آدم فزين له طريق الخروج من الجنة ثم مالبث يزين لبنى آدم الاخفاق فى خلافتهم على الأرض بالافساد بين أممها وفى خيراتها .

ولعل القارىء يلاحظ فيما سبق من ايات ، كما هو الشأن فى كثير من آيات القران ، ان كلمتى « العلم والعقل » تكادان تتلازمان وتقترنان فى ورودهما على غرار تلازم لفظى « الكتاب والحكمة » السابق الذكر . وهو اذا ما تأمل معانى الايات ومغزاها الحكيم لادرك ان القران يجعل بين العلم والعقل (كما جعل بين الكتاب والحكمة) علاقة « صمبيوطية » صمبيوطيه « Sgmbiotic أى علاقة تكافلية تناهدية) فلا علم للانسان بدون عقل ولامبرر ولا نفع لعقله بدون علم . فهما صنوان لايفترقان اما ان تقبلهما معا او ترفضهما معا . ومن ثم اذا كانت الرسالة المحمدية تحضنا فى جهادنا الاكبر على تعظيم ما ننهله من العلم كوسيلة مثلى لترسيخ الايمان بالله . وبما ان العقل هو الوسيلة الفريدة لطلب العلم ونشره فان السير على صراط الايمان يحتم علينا ذلك الجهاد الاكبر بحشد وتكريس ملكات عقولنا لنهتدى الى ذلك الصراط المستقيم ، اذ به فقط يمكننا العودة لجنتنا المفقودة فى الحياة الأخرة بالاضطلاع بمسئولية خلافتنا على الأرض ، اى بالمحافظة عليها وعلى سائر اممها والاستمتاع بخيراتها دون افساد متمثلين فيها خيرات الجنة ، وطن ادم الاصلى .

هذا هو منهج الرسالة المحمدية الذى جعل منه الله منهاجا للايمان ودستورا للخلاص ، اذ هو منهاج الجهاد الاكبر طلبا للخالق فى نور علمه عن طريق العقل الانسانى . والمنهج القرآنى فى هذا المعنى يشكل حورا اساسيا لخريطة الصراط المستقيم (سأعود للمحور الاخر فيما بعد) لا غرو اذن ان اهتدى اليه علماء الاسلام فى عصره الذهبى ، فنبغوا به

وسادوا على اليونان والروم والفرس وغيرهم ونشروا نور الحق فى مشارق الأرض ومغاربها . وهو ايضا المنهج الذى تعلمه الفرنجة من المسلمين فارسوا به الاساس لحضارة اوروبا الحديثة فى الوقت الذى تراخى وتهاون فيه المسلمون فى جهادهم الاكبر فترهلت عقول امتهم وصارت تنزلق على جليد الزمان والمكان فوق منحدر الانحطاط والظلام من قمم جبال اندلس الامس الى كهوف جهالة المشعوذين فى طهران وبيروت وقاهرة اليوم (٣٠) . اذ عندما تقهقروا فى جهادهم الاكبر . وهن عقلهم فوهن علمهم ثم وهن ايمانهم . ايمانهم بانفسهم فى مسئولية خلافتهم على الأرض كجزء لايتجزا من ايمانهم برسالة الله .

هذا المنهج القرآنى يجب أن يطلق عليه اليوم المنهج العلمى السائد استخدامه فى كل فروع العلوم الطبيعية والاجتماعية والسلوكية . اذ يبدأ الباحث فى مواجهة « المسائل » او « المعضلات » « يتعقل » النظريات او الاطروحات » ثم يتطور منها الى « تبين » خريطة المشاهدات اى « الايات والبينات » ويختتم الدورة « بتأمل وتعقل » خريطة المشاهدات ليستخلص النتائج بقبول او دحض الاطروحة الابتدائية . وفى حالة رفضها يعاود الكرة فى نمط حلزونى مراجعا لافكاره عبر الزمان والمكان بلا هوادة الى ان يرجع الباحث الى بارئه بغية الوصول الى الحقيقة ، حقيقة الله العليم وحكمته الواسعة . ذلك هو فى اعتقادى منهج الله الحكيم اذ به يعود العقل الانسانى الظاهر الى البيت والجامع ليسود فى المدرسة والمعمل فتزدهر به المزرعة والمصنع .

القسم الثانى

مسألة الاختيار الاقتصادى فى الاسلام

الفصل الرابع :

طبيعة الانسان وجذور المشكلة الاقتصادية

كان سقوط آدم وحواء من الجنة نذيرا ببداية ام المشكلات الاجتماعية والسياسية . المشكلة الاقتصادية : مشكلة الندرة النسبية ، اى ندرة الموارد بالنسبة الى الحاجات الانسانية المختلفة والتى تكاد لا يكون لها منتهى ، وهذا الموقف هو الضد المقابل للجنة حيث الموارد لانهاية لها بالنسبة لحاجات اهل الجنة كما كان حال ادم وحواء قبل السقوط . وطبقا للقرآن ، كما بينا سابقا ، لم يترك الخالق الانسان دون وسيلة فى قضاء وقته على الأرض اذ وهبه العقل واورثه الاسماء والعلم ثم اتاه الحكمة بعد استخلافه على موارد الأرض وامممها من دابة وطير وغيره اذ يقول : « والأرض وضعها للأنام » (٥٥ : ١٠) اى للخلق ، كما يقول « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » (٦٧ : ١٥) وتعديدا لبعض خيرات الأرض ، يقول الخالق الكريم : « وهو الذى انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه .. ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله .. » (٦ : ١٤١ ـ ١٤٢) وفوق ذلك فان خيرات الله ونعمه على الانسان تتعدى موارد اليابسة اذ يقول : « الله الذى سخرلكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون . (٤٥ : ١٢ ـ ١٣) وفى الحقيقة فان فضله اوسع من ذلك ايضا فقد سخر نظام الكون فى جلاله لخير الانسان اذ يقول : « هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره فى ذلك لايات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا الوانه ان فى ذلك لاية لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مؤاخر فيه ولتبتغوا من فضلة ولعلكم تشكرون » . (١٦ : ١٠ ـ ١٤) .

واذا كان الله قد انعم على بنى آدم بهذه الخيرات موارد لهم فى دنياهم ، واذا كان قد ارسل لهم الرسل والانبياء لتذكيرهم وتعليمهم الحكمة لتبين الصراط المستقيم ، اذا كان الأمر كذلك ، فلماذا اخفق الانسان فى خلافته على الأرض عبر التاريخ وفى مختلف العصور ، ولماذا يحفل التاريخ بالمصائب والنوائب ويزخر بالمعاناة والمقاساة من المجاعات والحروب ومن التخلف النقر ؟ الم يكن فى مستطاع بنى آدم ان يحيوا ، بما وهبهم الله من موارد وما رفعهم به من عقل ، حياة رغيدة سالمة امنه

ان اجابة هذا اللغز تكمن فى تركيبة النفس البشرية وطبيعتها المتقلبة المتناقضة انبثاقا من ضعف الانسان الصلصالى الاصل ، فيقول عز وجل : « لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم . ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون » (٩٥ ـ ٤ ـ ٦) ويسرد العليم خصائص ونقائص النفس البشرية فى فطرتها فيقول : « ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا » (١٧ ـ ١١) كما يقول « واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاحكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا » (١٧ ـ ٦٧) اى جاحدا لفضل الله عليه ، وفى نفس المعنى يقول : « أن الانسان لربه لكنود » (١٠٠ : ٦) . واكثر من ذلك يقول عز وجل فى تناقضات ونقائص النفس البشرية : « ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون » (٧٠ : ١٩ ـ ٢٣) ويقول ايضا : « واذا انعمنا على الانسان اعرض وناى بجانبه واذا مسه الشر كان يئوسا » (١٧ : ٨٣) . وبالاضافة لما سبق من النقائص فان الانسان يتميز بالاثرة وحب النفس والمال اذ يقول عنها الله الكريم الجواد : « واحضرت الأنفس الشح . (٤ : ١٢٨) كما يقول : « وانه لحب الخير لشديد » (١٠٠ : ٨) اى يتمادى فى حب المال فيصل فى تمادية الى اكل اموال اليتامى وميراث الضعفاء اذ يقول تعالى « وتأكلون التراث اكلا لما . وتحبون المال حبا جما » (٨٩ : ١٩ ـ ٢٠) والانسان فى حبه للمال يتمادى ايضا فى تعجله فيفضل عاجله على اجله طبقا لعموم طبيعته النفسية على حد وصفه عز وجل : « كلا بل تحبون العاجلة . وتذرون الاخرة » (٧٥ : ٢٠ ـ ٢١) وهكذا يقول الله ايضا مخاطبا رسوله عليه الصلاة والسلام : « قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا » (١٧ ـ ١٠٠) بينما يقول الرسول الحكيم : « لو ان لابن ادم واديين من مال لابتغى ثالثا ولايملأ عينه الا التراب ويتوب الله على من تاب » (٣١) وبصفة عامة فان الانسان يكون ضعفا امام الثروة بشقيها البشرى (كالبنين والنساء) والمادى (اى الثروة المنقولة والثابتة كالأطيان والمبانى) اذ انه قد « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا

والله عنده حسن المآب . (٣ ـ ١٤) والخطورة فى قنطرة الثروة وتراكمها لذاتها هى انها تخلق الشروط الضرورية نفسيا لافراط حائزها فى الاستقلال سلبا عن اهله وقومه وربه . ثم الغطرسة والغرو فالطغيان والظلم وكل ما يتبع ويترتب على ذلك من الافات الاجتماعية والسياسية فضلا عن الروحية ، كما كانت الحال فى قريش ما قبل الاسلام وما نجم عن « استغناء » اغنيائها اذ يقول عز وجل : « كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ان الى ربك الرجعى » (٩٦ · ٦ ـ ٨) (٣٢) .

وحب الانسان الجامح لحيازة الثروة وشهوته الجارفة نحو الماديات تفوق كل شهواته الاخرى طبقا للقرآن ، فقد لوحظ انه فى كل القرآن عدا اية واحدة (٩ : ١١) اينما يذكر الله المال والنفس أو البنين وأيا كانت المناسبة وسواء اختص الذكر بالجهاد أو غيره فإنه تعالى يقدم المال على النفس والبنين (٣٣) وهذه الشهوة نحو المال شهوة عامة تنطبق على كل افراد الاسرة الانسانية كما انطبقت على المسلمين الاوائل ، فلم يعف الله منها زوجات الرسول وصحابته طبقا للقرآن . فيحكى القرآن ان نساء الرسول تجمهرن وطلبن منه زيادة راتبهن المعيشى والسماح لهن بالكماليات والتزين فنزل الوحى يأمره فيما اسماه السلف الصالح « اية الاختيار » تخيير لهن بين مطالبهن المادية .

وبين البقاء على ذمة الرسول « يأيها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فإن الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما » (٣٣ : ٢٨ ـ ٢٩)[٣٤] كذلك يحكى ان الرسول عليه السلام كان يقوم بالقاء خطبة الجمعة فى المسلمين الاوائل فإذا بقافلة من العير (اى الحمير) تحمل الطعام فتجمهر المصلون وهبوا خروجا من المسجد عندما سمعوا اللهو والطبل اللذين اعدا لاستقبال القافلة ، وتركوا رسول الله قائما بالخطابة غير مستمعين اللهم الا اثنى عشر شخصا ، فنزلت الايات تقرعهم فى رفق : « واذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين » (٦٢ : ١١)[٣٥] وتتبين نقيصة حب المال بين المسلمين الاوائل ايضا من قصص القرآن عن توزيع الرسول للغنائم . فيسجل القرآن لنا وقائع ما حدث بعد يوم الفرقان . يوم انتصار المسلمين فى غزوة بدر (فى العام الثانى للهجرة) على الكفار ، حينما تذمر بعض المسلمين انتقادا لقسمة الرسول لغنائم بدر طمعا فى نصيب اكبر لهم ، اذ يقول الله تعالى : « ولو انهم رضوا ما أتاهم اله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون » : (٩ : ٥٩) ويسجل القرآن ايضا تذمر مسلمين اخرين بعد الفتح (فتح مكة) عند الجعرانة عقب عودة الرسول على

رأس جيش المسلمين من حصار الطائف لاقتسام غنائم المسلمين بعد انتصارهم على هوازن فى غزوة حنين فى العام الثامن الهجرى . فهناك تجلت شهوة المال عندما تحولت عملية القسمة الى هرج ومرج ثم تطاول على رسول الله نتج عنه تمزيق ملابسه ، بالاضافة الى انتقاد الرسول من جانب بعض الانصار ما قرره الرسول من نصيب كبير « للمؤلفة قلوبهم » من زعماء قريش ، فيقول الله العليم تصديقا لحكمة الرسول وعدالته فى القسمة : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل اله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم . ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين امنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم » (٩ : ٦٠ ـ ٦١) وفضلا على ذلك فإن الرسول عليه السلام تلقى مزيداً من الانتقادات فى توزيعه للصدقات طمعا من الناقدين وحبا للمال فنزلت الاية : « ومنهم يلمزك فى الصديقان فإن اعطوا منها من رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون » (٩ : ٥٨)[٣٦] وبعد وفاة خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم لم يتبدل حب الناس للمال اذ لم تتغير الفطرة الانسانية وما تنطوى عليه من الاثرة وحب النفس . ففى عهد أبى بكر الصديق (رضى اله عنه) اول خلفاء الرسول الراشدين كانت الاثرة وحب المال أهم اسباب الردة بين المسلمين من اعراب البدو تملصا من فريضة الزكاة وتوقفا عن دفع العشور [٣٧] كما كانت الاثرة وحب المال السبب فى بذر الشقاق بين الصحابة الذى كاد يتهدد الدولة الاسلامية فى عهد الفاروق عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ثانى الخلفاء الراشدين عندما اختلفت ومن ورائه عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وغيرهم مع عبد الرحمن بن عوف ومن ورائه الزبير ن العوام وبلال بن رباح وغيرهم من الصحابة وكان عين الخلاف هو رسالة سعد ابن أبى وقاص التى سأل فيها عن مصير غنائم المسلمين من فتح بلدان الرافدين وبالذات ما تضمنته هذه الغنائم من ارض زراعية شاسعة . وأمام معارضة عبد الرحمن بن عوف واتباعه حسم عمر الخلاف ديمقراطية عن طريق مجلس الشورى الخاص (الذى ضم نوابا عن المهاجرين والانصار) والذى حكم بترك الارض لمن يفلحها ، على ان يدفعوا عنها الخراج الى خزائن الدولة قياسا على قول الله الحكيم : « ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » (٥٩ : ٧)[٣٨] فى كلتا الحالتين تمكن كل من ابى بكر وعمر (رضى الله عنهما) من مواجهة الازمة التى تأصلت فى نحو مباشر (فى الحالتين) من الغلواء فى حب المال والاثرة ، ولكن فى كلتا الحالتين تمكن المسلمون بما تشربوه

من حكمه القرآن والرسول من راب الصدع الذى كاد يقوض الاساس السياسى والاجتماعى لدولة الاسلام الفتية بعد وفاة الرسول عليه السلام .

ولم يختلف حب الانسان للنفس والمال بين المسلمين فى أوج الحضارة الاسلامية فى العصر العباسى كما يتبين من بخلاء الجاحظ الذى يزخر بالطرائف عن حب الناس للمادة وفلسفتهم فى ذلك من خلال ملاحظاته عن أحوال عصره فى أوائل القرن الثالث الهجرى ومن كتابات من سبقه من كتاب المسلمين (مثل الاصمعى والمداعنى وابى عبيده) فى نفص الموضوع (٣٩) ويجب التأكيد فى هذا المقام على ان طرائف البخلاء لم تكن مجرد نوادر كما يتبين من ملاحظات حجة الاسلام الامام الناسك أبو حامد الغزالى عن احوال عصره فى القرن الخامس الهجرى ففى كتابه الشهير (احياء علوم الدين) يخبرنا الغزالى عن مدى انتشار وتغلغل الاثرة وحب النفس بين الناس انذاك من خلال أقصوصته (الخيالية) التى يعظ فيها المؤمنين بألا يتغالوا طمعا فى فضل الله عليهم والا يصحوا مثل السائلين الذين يتشبثون بخدم السلطان ليحصلوا منهم على اكثر مما يريد الخدم اعطاءه لهم من الخبز . ولكن الغزالى يعتقد فى تقديره الخاص من أحوال عصره أن ٩٠ ٪ من الناس يتصرفون فى حياتهم الشخصية مثل هؤلاء الشحاذين[٤٠]

وبالاضافة لما تقدم ، وعلى المستوى الفكرى . من الممكن لنا تبين نقائص الفطرة الانسانية عموما وشهوة الانسان نحو المال خصوصا من استطلاع دور الفكر الاسلامى فى الاقتصاد والاجتماع والتاريخ . بإستجابة لمطالب الحياة الاقتصادية والتجارية . كتب المسلمون الرسائل المتخصصة فى نظريات التجارة والاسواق ومن اشهرها « كتاب الاشارة الى محاسن التجارة » للشيخ ابى الفضل جعفر ابن على الدمشقى فى اوائل القرن السادس الهجرى (أو أواخر الخامس) ففى هذا الكتاب يقدم الدمشقى الارشادات فى فنون التجارة والتعامل فى الاسواق فضلا عن المبادىء النظرية التى تمكن من يبتغى المال والثروة من تعظيم ارباحهم[٤١] ولهدف اخر وهو صياغة النظرية العامة لحركة التاريخ . كتب القاضى العلامة عبد الرحمن بن خلدون فى المقدمة (وهى الجزء الاول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر) فصلين كاملين عن نظريات الاقتصاد (كجزء من نظريته العامة فى التاريخ) يقول فيها عن التجارة والتجار : وأما التجارة وان كانت طبيعية فى الكسب فالاكثر من طرقها ومذاهبها انما هى تحيلات فى الحصول على ما بين القيمتين فى الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب من تلك الفضلة ولذلك اباح الشرع فيه المكاسبه لما انه من باب المقامرة الا انه ليس أخذا لمال الغير مجانا فلهذا اختص بالمشروعية » (ص ٣٨٣) ثم يقول فى مقام اخر » اعلم ان التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أياما كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش وذلك القدر النامى يسمى ربحا فالمحاول لذلك الربح اما أن

يختزن السلعة ويتحين لها حوالة الاسواق من الرخص الى الغلاء فيعظم ربحه وأما ان ينقله الى بلد اخر تنفق فيه تلك السلعة اكثر من بلده التى اشتراها فيه فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطلب الكشف عن حقيقة التجارة أنا أعلمها لك فى كلمتين « اشتراء الرخيص وبيع الغالى » (ص ٣٩٤) وبعدها يقول فى الفصل الخامس عشر وعنوانه « فى ان خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة عن المروءة » انه لابد للتاجر من المكايسة والماحكة والتحزلق وممارسة الخصومات واللجاج وهى عوارض هذه الحرفة (ص ٣٩٩)[٤٢]

لعل القارىء يشاركنى الاستنتاج بأن فطرة الانسان التى خلقه الله عليها من صلصال فى أول التاريخ لم تتغير ولم تتبدل عبر الزمان .

فمما تقدم يتبين لنا ان نقائص الانسان وخاصة شهوته نحو الثروة (بشقيها المالى والبشرى) لم تتحول ولم تتبدل فى حياة المسلمين وعلى مدى تاريخهم عن وصف الله عز وجل لطبيعة النفس البشرية فى القرآن الكريم . ولا أخالك تختلف معى فى قولى بأن طبيعة البشر لم تتحسن فى عصور انحطاط المسلمين عن حالها السابقة . ومن هنا كانت ولا تزال استمراريه وديمومة المشكلة الاقتصادية : ام المشكلات الاجتماعية والسياسية .

الفصل الخامس :

شهوة المال في الاسلام والسعي له

واذا كانت تركيبة النفس البشرية تعاني في فطرتها من هذه النقائص المختلفة فإن الله تعالى في حكمته وعدله وانصافه لا يطالب الانسن بالتنكر لفطرته أو التنصل منها اذ جعل من الاسلام دين فطرة . كما يقول فقهاء الدين كل ما هنالك أن يطالبنا بأن يسعى المؤمن ويجتهد في سعيه الى تهذيب هذه الفطرة والتسامي بها بحيث يتجنب ايقاع الضرر بنفسه وبالاخرين من أسرة الانسان في دنياه واخرته . وبناء عليه يرفض الاسلام الرهبنة والترهب « فلا رهبانية في الاسلام » كما يقول فقهاء الاسلام ، اذ يقول عز وجل « ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم » (٥٧ : ١٧) (٤٣) وفيما يختص بشئون السعي الى السكب والمال يقول تعالى مؤنبا هواة وغلاة التحريم ودعاة الرهبنة والتنسك : « قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم أم على الله تفترون » (١٠ : ٥٩) كما يقول عز وجل قل من حرم زينة الله التي اخرج لعبادة والطيبات من الرزق قل هي للذين امنو في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامه كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون » (٧ : ٣٢) (٤٤)

ويذهب الاسلام اكثر من ذلك في موقفه من السعي الى الكسب والمال اذ لم يتوقف عند مجرد الاقرار بأن هذا السعي ليس محرما ، وانما أقر بأنه ليس فقط مرغوبا وانما في ذلك هو أيضا يتكامل مع العبادات . اذ يقول : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (٦٢ : ٩) ، كما يقول : « ليس عليكم جناح أن تتبغوا فضلا من ربكم فإن

افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين » (٢ : ١٩٨) ومن فريضة الحج يذهب الله في قرآنه الى ان يجعل منها وسيلة وموعدا دوريا لاجتماع المسلمين من كل فج عميق ، من مشارق الارض ومغاربها « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معدودات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » (٢٢ : ٢٧ : ٢٨) ، اى موعد دورى ليتشاوروا في شئون التجارة والمعاملات الاسلامية وليعقدوا الصفقات الاقتصادية بعد أن يقضوا مناسك الحج وروحانياته لتتطهر أرواحهم وتبرأ نفوسهم .

واذا كان الامر كذلك ، فلا غرو ان تتواتر دعوة الله تعالى للمؤمنين لان يسعوا الى العمل والكسب بممارسة كل انواع النشاط الانتاجي من تجارة وزراعة وصناعة اذ يقول : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » (٦٧ : ١٥) ويقول « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ان في ذلك لايام لقوم يتفكرون » (٤٥ : ١٢ ـ ١٣) كما يقول : « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبغوا من فضله ولعلكم تشكرون »(١٦ : ١٤) ثم يقول : « وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمرة » (٦ : ١٤١) كما يقول « ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش (٧ : ١٠)

وهكذا بعد أن يسعى المؤمنون للكسب من ضروب ودروب النشاط الانتاجي المختلفة من زراعة وصناعة وانشطة استخراجية كالصيد وانشطة المواصلات وما اليه من أنشطة اخرى تتبين من الايات السابقة ، تتبقى التجارة وما يتكامل معها من انشطة مختلفة (مثل عمليات التمويل) وتعاملات اخرى فيفرد لها الاسلام مكانة خاصة كمصدر للكسب والعيش اذا ما تمت في نزاهة اذ يقول عز وجل « يأأيها الذين أمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » (٤ : ٢٩) كما يقول الرسول الحكيم : « التاجر الصادق سيجلس في ظلال عرش الله يوم الحساب »[٤٥]

ومن وجهة النظر الاقتصادية . ربما كانت الحكمة في رفع الله ورسوله التجارة والتجار الى هذه المرتبة السامية بين مختلف الوان النشاط الانتاجي هي تشجيع وتحفيز المسلمين على الاقدام

والدخول إلى مهنة التجارة نظرا لأهميتها الخاصة لنمو وازدهار النشاط الاقتصادى والانتاجى للامة فى مختلف الوانه وفى اجماليته فالتجارة بما تتطلبه من مواصلات وتخزين وتمويل : هى العصب المحرك للجهاز الانتاجي والعرق الحساس لحركته ودوراته اذ أنه بدون توافر نظام التبادل لما تمكن الانسان من تطبيق نظام التخصص وتقسيم العمل فى العمليات الانتاجية لسائر أنواع النشاط الاقتصادى ولما تمكن أيضا من جنى ما تتمخض عنه هذه النظم من وفورات وكفاءة انتاجية . كما انه بدون تنمية ونمو نظم التبادل التجارية ينعدم النماء والازدهار فى اقتصاد الامة بصفة عامة كما يمكننا الفهم من حديث للرسول صلى الله عليه وسلم (٤٦)

وأيا كان مصدر الكسب من نشاط انتاجى شريف فإن الله ورسوله يحضان المؤمنين على السعى الدءوب للكسب والمال فإلى جانب ما تقدم ، يقول الله تعالى بصفة عامة « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (٩ : ١٠٥) ويقول الرسول عليه الصلاو والسلام فيما معناه ان الاجتهاد فى الكسب الحلال هو بمثابة الجهاد فى سبيل الله وهو ايضا كالصدقة اذا ما استخدم المال للانفاق على حاجات الاهل والعشيرة كما يقول فوق ذلك ما معناه « أن الفقر يكاد يتكافأ مع التنكر للاسلام » ومن ثم فلا عجب ان يقول الرسول الحكيم : « ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصيام ولا القيام ثم يستطرد قائلا انه يمكن قائلا أنه يمكن تكفيرها فقط عن طريق الهموم فى طلب العيش » (٤٧) والاسلام . اذ يقبل الفطرة الانسانية عموما وما جبل عليه الاسلام من حب المال خصوصا . فإنه يهدف الى تهذيبها وتطويعها لما يحقق النفع للمؤمنين ويعفيهم من الضرر وهكذا اعتمد الرسول الحكيم على فطرة حب المال لهداية من كان عهدهم حديثا بالاسلام ، واقناعهم بأن الهداية خير لهم فى الحياة الدنيا الى جانب الاخرة ففى توزيعه للغنائم من غزوة حنين عند الجعرانة(كما ذكرنا سابقا) قام الرسول بمنح شيوخ وزعماء قريش وخاصة أبو سفيان اضعاف اضعاف من سبقهم إلى الاسلام والهداية من المجاهدين « ليؤلف قلوبهم » مما ادى الى انتشار الاستياء بين صفوف قدامى المجاهدين فأوحى الله الى رسوله سندا لحكمته الاية « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل اله وابن السبيل فريضة من اله والله

عليم حكيم (٩ . ٦٠)[٤٨] وقبل ذلك فى العام السادس للهجرة كافأ الرسول عليه الصلاة والسلام بعد صلح الحديبية من بايعة تحت الشجرة فى « بيعه الرضوان » من المجاهدين بمصاحبته لغزو خيبر حتى ينالوا من وفير غنائم المسلمين منها فنزلت الاية « لقد رضى الله عنه المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما » (٤٨ : ١٨ ـ ١٩) (٤٩) وفى كلتا الحالتين السابقتين كانت حكمة الرسول هى الحرص على نفع المؤمنين واعطائهم الفرصة لترسيخ ايمانهم بعيدا عن الضغوط المالية عليهم من جانب الكفار والمنافقين حتى يدخلوا الدين بمحض اختيارهم واقتناعهم وبتحقيق صالحهم ف الدنيا والاخرة وعلى خلاف ذلك كان شأن ثعلبة الذى طلب من الرسول ان يدعو الله له بالثراء . فلما اغتنى « استغنى » وتمنع عن دفع الزكاة فنزلت الايات ، « ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا وتولوا وهم معرضون » (٩ : ٧٥ ـ ٧٦) وانطبق عليه وعلى مثله قول الله « كلا ان الانسان ليطغى أن رأه استغنى » (٩٦ : ٦ ـ ٧) (٥٠)

وهكذا يتبين لنا من حكمة القرآن الكريم ورسوله الحكيم ان المال ليس بالضرورة مفسدة اذ يتوقف الامر على كيفية ونواحى استخدامه كما يتبين ايضا ان حب المال والسعى فى طلبه ليس بالضرورة فساد اذ يتوقف الامر على رد فعل حائزة تجاه ربه والاخرين من اهله وأمته وعلى كيفية كسبه وتحصيله فاستخدام الثروة بشقيها البشرى والمادى (أى المال والنفس والبنون) فى الجهاد فى سبيل الله امر مرغوب ومطلب محمود اذ يقول تعالى مثلا : « الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون » (٩ : ٢٠) كما يقول : « لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين » (٩ : ٤٤) (٥١) فالمال قوة ويوصى الله المؤمنين يمسكوا بزمام القوة واسبابها لتحقيق صالح الامة والدفاع عنها اذا يقول : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون » (٨ : ٦٠) : والامة الفقيرة أمة ضعيفة ويقول الرسول ما معناه كما تقدم : « يكاد الفقر يتكافأ مع التنكر للاسلام » اذ لا تستطيع هذه الإمة فى

الامد البعيد الوقوف على قدميها والبقاء والصمود امام الاخطار التى تتهددها ولا أمام عوامل التعرية البشرية اذا لم تحقق الخير والرفاهية والامان لاعضائها .

وتحقيق الخير والرفاهية لاعضاء الأمة يتسنى لها باستخدام الثروة لاشباع حاجتهم الاستهلاكية الحاضرة بالاضافة الى توفير الامان الاستهلاكى فى المستقبل . وطالما جاهد الانسان نفسه لتزكيتها وتطهيرها بالعبادات تمنعا عن الفساد والطغيان والغرور والغطرسة والزهو ، والجحود والكنود وما شابه كل ذلك من الامراض الروحية التى تنجم عن الشعور بالاستغناء الذى يمكن أن ينمو فى رحم الغنى والثراء ، أقول طالما جاهد الانسان هذه الامراض الروحية فإنه ينعم باستخدام ما حل له من المال للاشباع الاستهلاكى فى الحياة الدنيا فيقول الله تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا .. » (١٨ : ٤٦) كما يقول الرسول ما عمناه « المال الحلال الطيب للانسان الصالح » وبناء عليه فإنه لاجناح على المؤمن فى ان يستمتع بماله فى وضح النهار فلا يخفى نعمة ربه عن الاخرين اذ يقول عز وجل : « وأما بنعمة ربك فحدث » (٩٣ : ١١) كما يقول الرسول ما معنا : « عندما يعطيك الله مالا يجب أن تظهر نعمته عليك » (٥٢)

فللمؤمن اذن ان ينفق من ماله على سائر الوان النعيم الاستهلاكى من طعام وشراب وملبس ومواصلات ومسكن وغيرها من الحاجات والدعوة للاستمتاع بالطعام والشراب تتكرر كثيرا فى القرآن اكثر من فريضة الحج وتكاد تماثل فى تواترها وورود فريضة الصلاة (٥٣) فعلى سبيل المثال يقول عز وجل مبينا بعض انواع الطعام : « فلينظر الانسان الى طعامه . انا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبنا متاعا لكم ولانعامكم » (٨٠ : ٢٤ - ٣٢) كما يقول « وهو الذى سخر البحر لتاكلو منه لحما طريا وتستخرجوا من حلية تلبسونها (١٦ : ١٤) ثم يقول : « يابنى ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا » (٧ : ٣١) والى جانب المأكل والمشرب والملبس ، هناك المسكن واثاثه ووسيلة النقل اذ يقول الله : « ومن الانعام حمولة وفرشا » (٦ : ١٤٢) كما يقول الرسول مامعناه : « من حاجات الرفاهية الانسانية : بيت واسع وجار حسن وركوبة جيدة .. (٥٤)

الفصل السادس

الأختيار الاقتصادى وحريته فى الاسلام

واذا كانت المشكلات الاقتصادية فى تفريعاتها واجماليتها هى ام المشكلات السياسية والاجتماعية واذا كانت العلة الاساسية لكل هذه المشكلات الاقتصادية مهما اختلفت اعراضها ومظاهرها هى نقائص النفس البشرية . فانه يمكن ارجاع كل هذه المشكلات وتفريعاتها الى المشكلة الاقتصادية الاصلية وهى مشكلة الندرة النسبية كما ذكرنا سابقا : اى ندرة الموارد الاقتصادية بشرية كانت وهى الأهم (وقت الانسان ومجهوده) او مادية مالية (اى ما اتانا الله من موارد طبيعية والرأس مال العينى الذى تراكم وتقنطر للامة من الماضى) والمشكلة الاقتصادية (اى مشكلة الندرة النسبية) بحكم طبيعتها وعلتها يتفرع عنها اشكاليتان او مسألتان متداخلتان يتسنى على الانسان التعامل معهما : المسألة الاولى هى اشكالية تخصيص الموارد البشرية (الوقتية) والمادية بين العبادات والمنتجات على مختلف انواعها من زرع وصنع وخدمات . والمسألة الثانية هى اشكالية توزيع الناتج من السلع والخدمات بين اعضاء الامة ولنسميها « مسألة العدالة » اذ يتطلب الاسلام ان يحقق التوزيع هذا التوازن الاجتماعى ويتجنب الظلم والطغيان عملا بقوله عزوجل « ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللروسل ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم .. (٥٩ : ٧) وايضا بقوله تعالى : « ولاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون » (٢ : ١٨٨) والى جانب الترابط والتداخل والتشابك بين مسألتى « تخصيص الموارد » و « توزيع الناتج » الذى تحتمه الطبيعة الاجتماعية والمتشابكة للنشاط الاقتصادى ، الى جانب ذلك فان الاسلام يدخل عنصرا أضافيا من الترابط يرجع الى كون احد العبادات (الزكاة) تختص ايضا بمسألة التوزيع العادل للناتج على اساس تصحيحى وعلى مستوى الدولة ..

ومن طبائع الامور ان المواجهة او التعامل مع المسألتين سابقتى الذكر لابدو ان يحسم عن طريق عقد الاختيارات : اى اختيارات تخصيص الموارد بين العبادات والمنتجات المختلفة واختيارات توزيع الناتج والمنتجات بين افراد الامة على نحو عادل . ولابد لهذه الاختيارات ان تتم على مستويين مختلفين : مستوى الفرد (عضو الامة) الخاص ، ومستوى الجماعة (او الامة) العام عن طريق الدولة . ويقتضى الاسلام ان تتم الاختيارات ايا كان المستوى الذى تعقده عنده ، على اساس حكمة الله التى بها لانبيائه وتقضى بها آيات قرانه الكريم ويعلمها رسوله الحكيم لاولى الالباب وذوى العقول من المؤمنين فى كل زمان ومكان ليهتدوا ويسيروا على صراط الله المستقيم تحقيقا لخير افراد الأمة ومجموعها فى الحياة الدنيا والعودة الى وطن ادم الاصلى فى جنة الحياة الاخرى ..

ولكن قبل بحث هذين المستويين من الاختيارات فى مواجهة شقى المشكلة الاقتصادية ، ثمة مسألة اساسية تفرض نفسها فلابد من معالجتها قبل كل شىء الا وهى : مسألة الاختيار هل بموسوع الانسان او بقدرته مزاولة الاختيار الحر بصفة عامة والاختيار الاقتصادى بصفة خاصة فى حياته الدنيا ؟ بعبارة اخرى لابد من معالجة السؤال القديم : هل الانسان مخير ام انه مسير ؟ وبالذات هل فى موسوع الانسان ممارسة حرية الاختيار خصوصا فى شئون حياته الاقتصادية فى معناها الواسع على ما تقدم ؟

فلأ قرر مقدما بأنه لاشك عندى فى تقديرى المتواضع ان الدراس الجاد للرسالة المحمدية ، شرقيا كان او غربيا . سوف لايجد صعوبة خاصة فى ادراك ان الاسلام دين حرية وتحرير على الرغم من ان لفظ الحرية لم يرد فى آيات القرآن بينما ورد لفظ « التحرير » و « الحر » فى معرض حضه عزوجل للمؤمنين على تحرير الرقيق فقط (٥٥) ، وقد ادرك هذه الحقيقة عمداء الفقه والشريعة فى العصر الذهبى للتفكير الاسلامى والاجتهاد الفقهى حينما اقروا وارسوا المبدأ الفقهى الرشيد وهو ان « القاعدة » او « الاصل فى الشرع الحرية » . بيد انه نظرا لضعف ونقائص النفس البشرية فانه من صالح الفرد وخير الامة تعيين او اقامة « الحدود » على هذه الحرية (٥٦) .

والتحرير الاسلامى يتعدد فى ابعاده وتعدد الحرية الاسلامية فى محاورها . فالى جانب حض الاسلام على تحرير العبيد ، جاءت تشريعات واصلاحات نظامى الاسرة والميراث الاسلاميين بقصد تنظيم العلاقات الاسرية على نحو يحقق التحرير الشخصى والاقتصادى لافراد الاسرة (من طغيان وجور من تسوله نقائص نفسه من افرادها الاخرين) بحيث تتوافر لهم جميعا الطمأنينة والامان تحريرا من القلق والخوف فى حياتهم الخاصة ، وقد تدرج الاسلام فى تحقيقه لهذا الهدف بين المسلمين الاوائل (فى المدينة ومكة) من نبذ القرآن

ورسوله لنظام الاسرة والارث الجاهلى الى تقويض عاداته وتقاليده الجائرة تدعيما وسندا وتكريسا لفردية المؤمن وكرامته فى اطار الاسرة الاسلامية (٥٧) .

ولم يكن موقف الاسلام من العبودية وتنظيمه للميراث والاسرة وتكريسه لفردية المؤمن تحريرا له من عنكبوت القيم والتقاليد الجاهلية البالية الا وجها وجزءاً من منظومته الرائعة ونسيجه البديع الذى رسم عليه صورة مجتمع جديد تتحرر فيه مبادرات الخلق الساعية وقدرات الانسان الخلاقة بما اودعه الله فيه من عقل وحكمة . فتقيم لهذا المجتمع ومنه نظاما اقتصاديا ميسورا يتحرر فيه المؤمنون والمؤمنات من عبودية المال ومن كنود وجحود « استغناء » الأغنياء ، وانما ايضا لتحرير الفقير والمحتاج من سطوة الحقد الطبقى بتحريره من العوز والظلم والطغيان وبحيث لايصبح المال دولة بين الأغنياء منكم » (٥٩ : ٧) وليضحى المؤمنون سواسيه فى دولة العدل كما جعلهم الله سواسية امام سلطانه وعرشه .

وفوق وقبل كل ما تقدم فان الاسلام فى اصراره على التوحيد المطلق قد ذهب الى منتهى الطريق الذى سارت عليه اليهودية والمسيحية من قبل فى تحرير الانسان . فعبادة الله الأحد اى كون المسلم عبدا لخالقه دون سواه تعنى ايمانه بعدالته وسائر سننه ونواميسه التى لاتتبدل كما تعنى ايضا تحريره وتحرير روحه ونفسه من العبودية لكل ماهو ارضى . اى تحريره من العبودية فى كل اشكالها الاجتماعية والوانها السياسية بحيث يصبح كل المؤمنين سواسية اذا يقول العادل الاحد : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (٤٩ : ١٣) . ويقول الرسول فى حجة الوداع : « كلكم لآدم وادم من تراب ، لافضل لعربى على عجمى ولا لابيض على اسود الا بالتقوى والعمل الصالح » . « وتوحيد الله فى جعله ولاء المسلم الوحيد لربه وحده وجعل ولائه لذوى قرباه وعشيرته وامته بقدر ولائهم للخالق ، فانه يحرر الانسان من العصبيات العشائرية والقبائلية والقومية لينتمى الى امة الانسان المؤمن فيعمل لخيرها وينعم فى ايمانه بخيرها ويأمن بظلالها الوارفه (٥٨)

وانطلاقا من ذلك فان الله عزوجل فى حكمته وعدله يؤكد مرارا وتكرارا فردية المسلم وحريته ومسئوليته الشخصية امام ربه فحرية الانسان ومسئوليته الشخصية عن اعماله مستمدتان من عدالة العادل اذ يقول : « إن الله لايظلم الناس شيئا ولكن انفسهم يظلمون (١٠ : ٤٤) ويقول ايضا : « وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله » ٢ : ١١) . ويتواتر تأكيد الله تعالى على فردية الانسان ومسئوليته عبر القرآن . فعلى سبيل المثال يقول تعالى : « الا تزر وازره وزر اخرى وان ليس للانسان الا ماسعى » (٥٣ :

٣٨ ـ ٣٩) وفى نفس المعنى يقول : « واتقوا يوما لاتجزى نفسى عن نفس شيئا ولايقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة ولا هم ينصرون » (٢ : ١٢٣) . وبناء عليه يقول : « من عمل صالحا فنلفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون » (٤٥ : ١٥) ، كما يقول « ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها » (١٧ : ٧) . ويعيد هذا المعنى « من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » (٤١ : ٤٦) .

والله لكرمه وحبه للانسان يتفضل عليه بكرمه اذ يقول : « من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون » (٢٨ : ٨٤) كما يقول : « فأما الذين أمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله .. » (٤ : ١٧٣) وهكذا يقول : « وخلق الله السماوات والارض ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون » (٤٥ : ٢٢) . كما يقول « كل نفس بما كسبت رهينة » (٧٤ : ٣٨)

ومن الأيات السابقة يتبين ان الله تعالى فى تأكيده لذاتية وفردية الانسان وفى اقراره الضمنى لحريته فى ممارسة الاختيار فانه يدعو الانسان الى ان يكون على مستوى كاف من المسئولية تكافؤا مع هذه الحرية ، اذا انه كفرد يتحمل نتيجة اعماله ثوابا او عقابا ، وحرية الاختيار هذه تمتد الى افاق ومرام متعددة فى حياة الانسان الدنيا ولكنها تتجلى فى اهم انواع الحرية وهى الحرية الدينية . فالمبدأ والقاعدة فى الاسم انه « لا اكراه فى الدين » . اذ يقول عز وجل لرسوله : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا » (١٨ : ٢٩) . ويقول : « من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا » (٤ : ٨٠) ، كما قال له : « انا انزلنا عليك الكتاب بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل » (٣٩ : ٤١) وقال ايضا : « ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت ليهم بوكيل » (٦ : ١٠٧) ، وقال : « ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشاء يعذبكم وما ارسلناك وكيلا » (١٧ : ٥٤) ثم يقول ايضا للرسول : « فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » (٩ : ١٢٩) ويقول كذلك : « وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا » (١٧ : ١٠٥)

يجب الاشارة هنا الى انه نظرا لوجود ايات قرآنية اخرى تنص على كون الانسان مسيرا لا خيار له فقد ثار الجدل واختلف الرأى بين علماء المسلمين منذ القدم (٥٩) فظهرت فى اواخر القرن الأول الهجرى مدرستان متضادتان وهما : « الجبرية » التى اصرت مستندة الى الايات السابقة الذكر على ان الانسان مسير لا اختيار له اذ يقع تحت « الجبر » الالهى ، يقابلها المدرسة

« القدرية » التى قالت بان الانسان مخير وحر الارادة استنادا الى الايات السابقة وما يماثلها من آيات اخرى ، وقد تعاطف مع « القدرية » الامام الحسن البصرى والامام ابو حنيفة ابن ثابت مؤسس المذهب الحنفى (٦٠) واحتدم الجدل بين هاتين المدرستين قرابة قرنين من الزمان حتى جاء الامام ابو الحسن الاشعرى وكان اصلا من القدرية المعتزلة ليضق طريقه بينهما (مسترشدا بالوسطية الاسلامية) اى بين « الطريحة « الجبرية و « النقيضة » القدرية ليصل « بكلامياته « الى » توليفه » « الكسب » القائلة بانه فى مقدور وقدرة الانسان ان « يكتسب » الاعمال التى خلقها الله له مسبقا . وشاعت التوليفة الاشعرية تدريجيا على مدى قرن ونصف تالبين تصبح المدرسة او المذهب الاساسى للسنة خاصة بعد ان ناصرها الامام العلامة ابو حامد الغزالى فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى . (٦١)

وغنى عن الذكر ان الاشعرى كان قد بنى « توليفة الكسب » على اساس ايات من القرآن تتضمن مشتقات لفظ « الكسب » مثل الايات التالية : « كل نفس بما كسبت رهينة » (٧٤ : ٣٨) و « وخلق الله السماوات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بمل كسبت وهم لايظلمون » (٤٥ : ٢٢) وبهذه التوليفة الحكمية ساعد الاشعرى المسلمين » المتعقلين « على اختلاف مشاربهم ان يتغلبوا على معضلة كلامية كادت تتهدد وحدتهم ووحدة امتهم ، اذ عن طريقها يتمكن المؤمن المطيع الذى دعاه الله مرارا وتكرارا لان « يفهم ويفقه ويعقل . اقول يتمكن هذا المؤمن ان « يعقل » الايات القرآنية السابقة الذكر وان يبدد ما يرى فيها من تناقض انسانى ظاهرى وان يتعمق فى فهمه وايمانه بعدالة الله الذى لايظلم وينهى عن الظلم اذ يعطى الانسان حرية الارادة والقدرة « ليكتسب » لنفسه او عليها الاعمال الصالحة او السيئة على التوالى ، ويتحمل عاقبة ومسئولية هذا الاختيار . وفى اعتقادى المتواضع ، يذهب القرآن فى ذلك الى مدى ابعد من توليفة « الكسب » الاشعرية اذ ليس من الصعب علينا ان نجد فى كتاب الله ان الانسان ذو اهلية وقدرة على ممارسة الاختيار الحر فى دينه ودنياه اذا ما « تدبرنا وتأملنا وتعقلنا » قول الله عز وجل لـ رسوله : « ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لايعقلون » (١٠ : ٩٩ ـ ١٠٠) . ففى هذه الايات يجعل الله تعالى فى حرية الاختيار الانسانى اشتقاقا من ارادته القديرة بان يمنح و « يأذن » للانسان فى ممارسة الاختيار شريطة ان يعقل ويتعقل .

لاحظ ان المبادرة فى الاختيار طبقا للايات السابقة تأتى من الانسان ويشاء الله فى عدله ونزاهته ان يقصر دوره على « الاذن » والمنح والسماح طبقا لقوانينه ونواميسه وسننه الدائمة التى لاتتبدل

ولكن الله فى كل هذا ونظرا لعلمه المطلق وقدرته اللانهائية وديمومته الابدية يعلم كل ما حدث وما سيحدث فلا فرق بينهما فى حسابه الزمنى نظرا لديمومته الابدية وبناء عليه فانه فى لغة الانسان الدنيا يعلم ماسيصير اليه الانسان وما سيصدر عنه من افعال صالحة او سيئة فى حاضرة ومستقبله فهى فى تفصيلاتها الدقيقة وفى اجمالها معلومة ، فى كتاب مبين « اذ يقول فى عليائه على سبيل المثال » وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولاتعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين » (١٠ : ٦١) . كما يقول : « ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير » (٥٧ : ٢٢) ولا غرو ولا عجب فى ذلك اذا ما تذكرنا انه اصبح فى عصرنا فى متناول الانسان على ضعفه وبما تيسر له من قدر متناهى الضآلة من حكمه وعلم الله (اى نواميسه وسننه وقوانينه الدائمة) اقول اصبح ممكنا لبنى ادم التنبؤ الاحصائى الدقيق للكثير من الظواهر الطبيعية التى تتراوح بين تطور الطقس والمناخ وبين حركة الكواكب والاقمار والمسافات بينها

وبناء على ماتقدم من آيات وشروح يمكننا ان نستخلص ان الاسلام يذهب فى اقراره لحرية الاختيار البشرى الى مدى ابعد من مجرد « الكسب » الاشعرى فيتعداه الى حد « المنح والاذن » والاسلام فى هذا الشأن على خلاف ما سبقه من اديان يقرر ويقر قدرة الانسان على ان يختار مصيره بنفسه ولنفسه . اى مصيره فى الحياة الدنيا ومصيره فى الحياة الاخرة ان « منحه » خالقه العادل القدرة على الأخذ بزمام المبادرة وممارسة حريته فى الاختيار » باذن الله » (٦٢) .



الحكمة القرآنية والصراط المستقيم

الفصل السابع :

الحكمة القرانية - قواعد الاختيار الأقتصادى وأبعاده وحدوده

وإذا كان الانسان حتى يتعامل مع المشكلة الاقتصادية ، أم المشكلات الاجتماعية والسياسية ، قد « اذن له » ربه العادل و « منحه » الحرية فى عقد الاختيارات المختلفة لتخصيص وقته وموارده المالية والطبيعية الاخرى بين سائر العبادات ومختلف المعاملات فى حياته الدنيا (كما قدمنا فى الفصول السابقة : ٤ ـ ٦ .
واذا كان الله فى رحمته ورحمانيته قد حصن « المؤمن » واوجب عليه اقتفاء « الصراط المستقيم » عودة الى وطنه فى « جنات الفردوس » ومسترشدا بما « اتاه من الحكمة » (اى « متدبرا ومتعقلا » لعلم الله الواسع من مبادىء ، ونواميس و « سنن لاتتبدل » « للهموم فى طلب العيش » و الاضطلاع بمسئولية خلافته على الأرض « كالراعى المسئول عن رعيته » كما يقول الرسول الحكيم (الفصلين الثانى والثالث سابقا) (٦٣) .
اقول اذا كان الامر كذلك ، فما هى « المعايير » والضوابط و « الحدود » التى على اساسها يتسنى للمسلم ان يعقد الاختيارات سابقة الذكر اخذا بأسباب « الحكمة » ، حكمة كتاب الله ورسوله ؟

كما تبين من الفصل السالف ، ينص القرآن صراحة وبشكل قاطع على ان غاية الانسان من كل اعماله فى حياته الدنيا (من عبادات ومعاملات) هى « صالح نفسه »، اى مصلحته الشخصية فى مضمونها الواسع . فكما ذكرنا سابقا يقول عزوجل : « من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » (٤١ : ٤٦ ، ويتكرر هذا المعنى اذ يقول مثلا : « من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون » (٤٥ : ١٥) . وفى تعرضه للهداية والايمان يقول تعالى : « فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ... » (٣٩ : ٤١) وبناء عليه يقول : الا تزر وازرة وزر اخرى » (٥٣ : ٣٨) .

ولايقتصر الامر على اعمال العبادات اذ يحض الله المؤمنين مرارا وتكرارا على الاستجابة لمطالب الدنيا والسعى الى نعيمها « بالهموم فى طلب العيش » كما سلف بيانه فى الفصل الخامس . فيقول الله تعالى ايضا : « وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولاتنس نصيبك فى الدنيا ... » (٢٨ : ٧٧) وفى نفس المعنى يقول رسوله الحكيم : « ... ولنفسك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه » . وفى حياته الدنيا يحقق الانسان « صالح نفسه » او مصلحته الشخصية بأن يسعى الى « منافعه » و « نفعه » اذ يقول عزوجل مخاطبا الرسول فى عجب من جهالة الكفار : « قل اتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم » (٥ : ٧٦) ، كما يقول : « ... قل افاتخذتم من دونه اولياء لايملكون لانفسهم نفعا ولاضر اقل هل يستوى الأعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور .. » (١٣ : ١٦) ثم ينصح آدم : « ولاتدع من دون الله مالا ينفعك ولايضرك .. » (١٠ : ١٠٦) ، ويضيف فى بلاغته واعجازه : « ... فأما الزبد فيذهب جفاء وما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الأمثال » (١٣ : ١٧) . وحتى عندما يقنن العبادات ، فإنه يوصى بنى ادم بالاهتمام بصالحهم قائلا : « واذن فى الناس بالحج .. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله .. » (٢٢ : ٢٧ ـ ٢٨)

والى جانب « نفعه » فى الحياة الدنيا ، فإن على المؤمن أن يسعى الى الأعمال الصالحة والنافعة للآخرين من المحتاجين والضعفاء كالزكاة والصدقة فيحقق مصلحته الشخصية فى الحياة الاخرى من خلال مصلحتهم فى الحياة الدنيا تكافلا وعبادة ، اذ يقول تعالى : « فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله ... » (٤ : ١٧٣) . فالفرد المؤمن بمقدار ما يؤديه من العبادات وما يقوم به من الأعمال الصالحة لأهله وغيرهم (خاصة المحتاجين والمساكين) بمقدار ما يغفر الله ما اقترفه من ذنوب ويكافئه بالثواب فى الحياة الاخرى متاعا فى جنات الفردوس . فإستنعامه « بنعيم ومتاع » الجنة هو فى الحقيقة امتداد لنعيم المؤمن فى الحياة الدنيا يبغيه ويسعى اليه من خلال

اعماله واختياراته فى تخصيص موارده الدنيوية ، ولكنها فى ذلك هى الجائزة والفوز الأكبر اذ يقول الخالق المانح : « ان للمتقين مفازا . حدائق واعنابا . وكواعب اترابا . وكأسادهاقا . لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا . جزاء من ربك عطاء حسابا » (٧٨ : ٣١ ـ ٣٦) .

والجنة كما وصفها القرآن هى فى لغة الاقتصاد النعيم الاستهلاكى الخالص والدائم اذ ينال فيها المؤمن الفائز كل ما يطلب من المتع والخيرات والامن والعافية بلا حدود وبلا مقابل . وترد صور الله الخلابة لتصف آيات جنات الفردوس ونعيمها الأخاذ عبر سور وآيات القرآن الكريم ، ولكن اكثر هذه السور إعجازا فى شمول المعانى وابداع البيان هما سورتى الرحمن والواقعة . ففى الواقعة يقول المبدع : « فى جنات النعيم . ثلة من الاولين . وقليل من الاخرين . على صرر موضونة . متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب واباريق وكاس من معين . لايصدعون عنها ولاينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون . وحور عين . كأمثال اللؤلؤ المكنون . جزاء بما كانوا يعملون . لايسمعون فيها لغوا ولاتأثيما . الا قليلا سلاما سلاما . وأصحاب اليمين ما اصحاب اليمين . فى سدر مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطعوة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة . انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا . عربا اترابا . لأصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الأخرين » (٥٦ : ١٢ ـ ٤٠) وفى سورة الرحمن يتحدى الخالق خيالنا بصوره وبسؤاله التعجبى : « فبأى الاء ربكما تكذبان » الذى يتخلل الأيات التالية تتابعا : « ولمن خاف مقام ربه جنتان .. ذواتان افنان .. فيهما عينان تجريان .. فيهما من كل فاكهة زوجان .. متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان .. فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ... كأنهن الياقوات والمرجان .. هل جزاء الاحسان الا الاحسان ... ومن دونهما جنتان .. مدهامتان .. فيهما عينان نضاحتان .. فيهما فاكهة ونخل ورمان .. فيهن خيرات حسان ... حور مقصورات فى الخيام .. لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ... متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان . فبأى الاء ربكما تكذبان . تبارك اسم ربك ذى الجلال والأكرام » (٥٥ : ٤٦ ـ ٧٨) .

وهكذا فإن قفو « الصراط المستقيم » نحو نعيم الفردوس يتطلب من المؤمن ان يتوخى « الحكمة » فى القرار ، بأن يتحسب ويحسب ويتعقل ويعقل اختياراته فيخصص وقته وماله وموارده الطبيعية بحيث يوجهه الى العبادات والأعمال الصالحة الحد الأمثل منها (٦٤) . وتلك يقدمها المؤمن « ثمنا لشراء » نعيمه الاستهلاكى فى الحياة الاخرى متوخيا نفس المبادىء والقوانين

والسنن التى يطبقها فى نشاطه التجارى والاقتصادى فى خلافته على الارض . فيقول الله تعالى : « ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور » (٣٥ : ٢٩ ـ ٣٠) . اما الكفار والمنافقون فهم خائبون فاشلون لانهم : « اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم . وما كانوا مهتدين » (٢ : ١٦) ، اذ انهم : « اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ماكانوا يعملون » (٩ : ٩) يقابل هذا الفشل فوز المؤمنين الذين يدفعون الثمن جهادا بما لهم وانفسهم كما يدلهم ربهم : « يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم » (٦١ : ١٠ ـ ١٢) وهذا الثمن ليس جديدا ولم يتبدل منذ بداية التاريخ كسائر سنن الله اذ يقول الدائم : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » (٩ : ١١) (٦٥)

وهكذا يبشرنا الله بان المتاجرة معه ليست فقط عادلة وانما هى ايضا رابحة « لن تبور » والعائد منها مجز ومرتفع . فالاعمال الصالحة وخاصة الانفاق فى سبيل الله (اى تخصيص موارد المؤمن للزكاة والتصدق عونا للمحتاج) مثلها مثل الجهاد بالمال والنفس قد يبدو وكأنه بلا مقابل فى الحياة الدنيا الا انه فى الحقيقة استثمار ممتاز . فهو عند الله « رضا حسنا » اذ يقول : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم » (٥٧ : ١١) ، كما يقول : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون . (٢ : ٢٤٥) . والله فى هذه « المضاعفة » يقيمها على نحو ونمط سننه ونواميسه الطبيعية التى لاتتبدل اذ ان العائد يتشابه فى معدله مع قانون الغلة الزراعية طبقا لقوله تعالى : « مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة » (٢ : ١٦١)

فمن الضرورى ، اذا كان مقصد الفرد المؤمن ان يتعقب « الصراط

المستقيم » ، وهو يكرس ما اتاه الله من عقل وحكمة ليقصد الحل الأمثل لشكلته التخصيصية اقتصادا لموارده بين العبادات والاعمال الصالحة من ناحية وبين المعاملات الدنيوية البحتة من ناحية اخرى ، اقول من الضرورى للمؤمن ان يتأمل نظام الله الكونى بقوانينه ونواميسه وسننه الدائمة وان يقفو فى عقد إختياراته (بإذن الله ، المثل والسنن العليا التى تتبين من آيات هذا النظام . فقد بنى الله تعالى نظام الكون واقامه على اساس عدله المطلق وقسطه المتناهى فى الدقة بعد تحسب وحساب . فالله عز وجل لايظلم ولايطغى فى حسابته بما فيها حساباته مع عبده ومخلوقه الانسان فيقول : « ... وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يعرف اليكم وانتم لاتظلمون » (٨) ٦٠) ، كما يقول : « واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لايحب الظالمين » (٣ : ٥٧) . وهو فى جزائه ومقابلته لأعمال الانسان يحسب ويحصى كل شيء وكل فعل ليفى بوعده كاملا دون ظلم ، فيقول : « إن للمتقين مفاا . حدائق واعنابا . وكواعب اترابا . وكأسا دهاقا . لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا . جزاء من ربك عطاء حسابا » (٧٨ : ٣١ ـ ٣٦) ، كما يقول : « وكل شيء احصيناه كتابا » (٧٨ : ٢٩) ، وبيناء عليه يقول : « وما تكون فى شئن وما تتلو منه من قر(ن ولاتعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تقيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين » (١٠ : ٦١) . فالله تعالى فى نظامه العادل يتوخى منتهى الدقة فى حسابته اذ يقول ايضا : « فمن يعمل مثال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثال ذرة شرا يره » (٩٩ : ٧ ـ ٨) . ولكنه فى دقته وعدله وحسابته لاينسى ايضا التفضل بالعائد المجزى بإضافته لما دفعه المؤمن من ثمن او قرض حسن وفاء لوعده بتجارته الرابحة ومضاعفة القرض ، فيقول : « ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤتى من لدنه اجرا عظيما » (٤ : ٤٠) (٦٦) .

ومن هنا اذا اراد المؤمن بإذن الله ان يقفوا الصراط المستقيم ليحقق من إختيارته مصلحته الشخصية ونفعه فى الدنيا والآخرة فإن عليه ان يتوخى الحكمة ويتصرف فى توافق وتناغم مع قوانين ونواميس وسنن نظام الله الكونى بأن يبتغى العدالة والنزاهة والقسط وان يتوخى فى ذلك الدقة عملا بمثل الله العليا وسننه الدائمة ، فى خلافته على الارض . فمن تأمله وتعقله لآيات الخلق على الارض وما وراءها سيدرك المؤمن ان ؤواهرها الطبيعية محكومة بنفس القوانين والنواميس والسنن الدائمة والمحكمة ، اذ يقول تعالى (فى رفعته) عن بحار الأرض المالحة والعذبة انه : « مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لايبغيان » ؛ ٥٥ : ١٩ ـ ٢٠) ، كما يقول : « والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تطغوا فى الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » (٥٥ : ٧ ـ) .

لا غرو إذن أن يجعل نفس القوانين والسنن ناموسا للعلاقات الاجتماعية اعضاء الاسرة الانسانية (بنى أدم) بصفة عامة وللعلاقات والمعاملات التجارية والاقتصادية بين المسلمين بصفة خاصة فنظرا لدوامة ولد يمومة قوانينه وسننه ، دعا الله البشر على مر العصور لاقتفائها فيقول : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ... » (٧ : ٢٥) ، ثم ختم رسالته برسول القرآن ليبلغ المسلمين : « قل أمر ربى بالقسط ... » (٧ : ٢٩) وهو على لسان ربه يدعو المؤمنين : « وافوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تأويلا » (١٧ : ٣) فالخالق العادل اذ يمنح الانسان الحرية ويأذن له بالاختيار فإنه يدعوه الى الاقتداء والتمثل بنزاهة معاملات الله وقسط تجارته مع خلقه فيقول : « يا أيها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ... » (٤ : ٢) وتأكيدا لمحورية النزاهة وإقامة القسط والعدل فى المعاملات الاقتصادية بالنسبة للصراط المستقيم ، فإن الله عز وجل يجود بالجزاء السخى على من يتخصص فى المعاملات التجارية ويرفع التجار الى مرتبة رفيعة فى الحياة الاخرى اذا نجحوا فى جهادهم الاكبر ضد اغراء وفتنة المال وتغلبوا على نقيضة الاثرة والاستئثار بمال الاخرين باطلا ، فيقول رسوله الحكيم ما معناه « التاجر الذى أخلص فى امانته وصدقه سيكون بين الانبياء والعادلين والشهداء » يوم الحساب ، كما يقول : « التاجر الصادق سيجلس فى ظلال عرش الله يوم الحساب » (٦) .

وفى اطار سنن العدل والقسط ودقة الحسابات ، على المؤمن الفرد ان يعقد سائر الاختبارات المتعلقة بتخصيص كافة موارده على « افاقها أو هوامشها » المختلفة مقتفيا الصراط المستقيم ، أى يقفو المسار الامثل لحياته الدنيا مسترشدا فى ذلك بنور « العلم والحكمة » . ومن البديهى ان يستوجب الاختيار « العلم » ، والاحاطة الكافية بموارد المؤمن والبدائل المتاحة امامه اذ يقول عز وجل : « ولا تقف ما ليس لك به علم ... » (١٧ :٣) . وعلى المؤمن ايضا ان يتبين ويعين ثم يقيم حدود الله على حريته فى الاختيار. فإلى جانب الظلم والطغيان فإن الله ينهى عن « الغلواء » بصفة عامة بما فيها الغلواء فى التدين والعبادات اذ يقول عز وجل مخاطبا الرسول الحكيم : « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق » (٤ :٧) ،ثم يذهب فى نفس المعنى قائلا : « قل يا أل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » (٥ : ٧) وبعيدا عن الغلواء والتطرف ، فإنه ن الحكمة القرانية ان نتوخى ونصبوا الى الاتزان او

« التوازن » بأن ننزع الى الاعتدال ونسترشد « بالوسطية الاسلامية » فى اختياراتنا بصفة عامة بما فيها اختياراتنا الاقتصادية البحته اذ يقول رب العزة : « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (٢ : ١٤٣) (٦٧) .

واهم ابعاد الاختيار او آفاقه هو تخصيص الفرد المؤمن لوقته ورأسماله وموارده الطبيعية بين ما يبغيه من منافع فى الحياة الدنيا والحياة الاخرى اى بين العبادات والأعمال الصالحة من ناحية والمعاملات ذات المنفعة الدنيوية البحته من ناحية اخرى ، وهو فى هذا يساهم فى معالجة اشكالية العدالة التوزيعية (لناتج الأمة عن طريق الزكاة والصدقات لكونهما من العبادات والاعمال الصالحة) الى جانب تخصيص الموارد فى مفهومه الاقتصادى الضيق . والمؤمن فى عقده لهذا النوع من الاختيارات يستجيب الى دعوة الله إذ يقول : « وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض إن الله لا يحب المفسدين » (٢٨ : ٧) . وفى نفس المعنى يقول رسول اللله : ما معناه « افضلكم عند الله من لا يترك الحياة الدنيا للحياة الاخرى ولا الحياة الاخرى للدنيا ولا يكون عبئا على العباد » .

ويضيف عليه السلام الى هذا الاختيار التخصيصى بعدا ديناميكيا اخر بتأكيده على تنمية الموارد وتثميرها اذ يقول : « إعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كأنك تموت غدا » (٦٩) .

وفى عقده للاختيار التخصيصى السابق ، على المؤمن ان ينزع إلى الوسيطة الاسلامية اى يسعى الى التوازن متجنبا الاسراف باعتباره احد حدود الاختيار فينهى عنه الله اذ يقول فى هذا المقام : « وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع ... كلوا من ثمره اذا اثمر واتو حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » (٦ : ١٤١) وفى نفس المعنى يقول الرسول « كلوا واشربوا والبسوا واعطوا ولكن تجنبوا التبذير والخيلاء » (٧٠) فالتبذير والاسراف من الغلواء شأنهما شأن البخل والتقتير فيجب تجنبها جميعا . وينطبق ذلك على الانفاق لمنافع المؤمن الدنيوية ، كما ينطبق على انفاقه لمساعدة ذوى القربى والمحتاجين . فيقول تعالى « وات ذات القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » (١٧ : ٢٦ ـ ٢٧) كما يقول تقريعا وتحذيرا لمن يبخل ويقتر : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتولى فان الله هو الغنى الحميد » (٥٧ : ٢٤) ويقول : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا »

(٤ : ٣٧) ثم يقول : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » (٩ : ٣٤) .

وايا كان نوع الانفاق فالوسطية الاسلامية توجب ان يسعى المؤمن الى التوازن قواما بين الاسراف والتقتير كقاعدة عامة اى ان يحسب ويتحسب ويعقل ويتعقل حتى يتبين هذا « التوازن » لينشده ، اذ يقول عز وجل والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (٢٥ : – ٦) فمن الواجب على المؤمن ان ينشد هذا التوازن فى تخصيصه لموارده بين منافعه الدنيوية البحته فى بعديها او افقيها الحالى والزمنى . اى سواء كان التخصيص اختيار للنمط الاستهلاكى عبر الزمن (بين الاستهلاك الحالى والاستهلاك المستقبلى بالادخار) او كان التخصيص اختيارا للنمط الاستهلاكى الحالى بين السلع والخدمات المختلفة) ففى حالة اختياره لنمط استهلاكه الحالى على المؤمن ان يجرى حساباته اللازمة لتعيين وتبيان التخصيص الانفاقى الوسيط « توازنا وقواما » بين اوجه الانفاق الاستهلاكى المتزامنه متجنبا الاسراف على اى وجه دون الاخر او الاسراف عموما اذ يقول الله « يا بنى ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (٧ : ٣١) .

وعلى غرار ذلك ، ففى اختيار المؤمن لنمط او مسار استهلاكه الزمنى فانه عليه ان يتحسب ويحسب ويعقل ليتوسط ويسعى الى التوازن قواما دون اسراف فى الاستهلاك الحالى على حساب المستقبل او العكس فرغم ان الله ينصح المؤمن : « ولا تقف ما ليس لك به علم » (١٧ : ٣٦) ويحضه على الاستزاده والاسترشاد بنور العلم الا أن الانسان قاصر عن معرفة ما يخفيه له المستقبل اذ انه « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » (١٧ : ٨٥) وخاصة عيشنا ومعاشنا الذى يتحدد بعوامل خارجية لا يعلمها الا الله اذ يقول « ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا » (١٧ : ٣٠) فنحن لا نعرف عن المستقبل حتى عندما يخيل لنا اننا عارفون كما يقول تعالى : « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون » (٢ : ٢١٦) ومن ثم فانه على المؤمن حتى يتجنب القلق ويمضى سعيا لشعور الامان والطمانينه على مستقبله ومستقبل قرباه الاستهلاكى ، اقول عليه ان يدخر فى الحاضر لتمويل استهلاكه فى المستقبل (٧١) فهو ان فعل ذلك بتحسب وحساب يكون قد عمل بالوسطية الاسلامية متبينا المسار التوازنى الديناميكى « قواما » لاستهلاكه عبر الزمن لا اسرافا ولا تقتيرا عملا بدعوة الله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » (١٧ : ٢٩) وتجنبا للتبذير فى الحاضر جورا على حساب المستقبل اذ ان الله ينهى عن التبذير قائلا : « إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا »

الفصل الثامن

أمثليات الصراط المستقيم وعلم الاقتصاد الغربي

إن اكثر الآيات التى يتواتر المسلمون على قراءتها إطلاقا هى ايات « سورة الفاتحة » (٧٢) فالمسلم وهو يقرأها كل يوم فى صلواته الخمس يبتهل الى خالقه : « إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » (١ : ٦ ـ ٧) (٧٣) فإلى جانب ما يحفل به الصراط المستقيم من نعم الله ونعيمه ، فهو ايضا سبيل الانسان الامثل » الى الايمان بالخالق اذ يقول عز وجل مخاطبا رسوله الامين : « وكذلك او حينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى إلى صراط مستقيم » (٤٢ : ٥٢) (٧٤) وهكذا فقد اعطى الله الانسان فى القرآن دستورا هاديا فصل فيه معالم خريطة صراطه المستقيم واوضح محاورها المختلفة فى اياته كما ذكرنا سابقا .

من هذا المنطلق ، ولتحقيق الهدف الاساسى من البحث الا وهو المساهمة فى صياغة وبناء اطار تحليلى « للأختيارات الاقتصادية » للفرد المسلم على اساس من الحكمة القرانية (باعتبار هذا الاطار لازما لمعالجة المسائل الشرعية التى يثيرها بناء وتسيير المؤسسات والنظم الاقتصادية فى عصرنا) ، اقول من هذا المنطلق فإننى قد اتخذت من المفهوم القرآنى « للصراط المستقيم » نقطة الارتكاز لاستنباط عناصر النظرية القرآنية ء للسلوك الأمثل « للفرد وهو يسعى فى رحلة الحياة الدنيا نحو نعيم الاخرة . اقصر السبل واقصدها » نحو غايات الانسان الدنيوية والروحية رحمة به . فالصراط المستقيم بهذا المعنى لابد وان يكون مفهوما او « مصطلحا فنيا » ذات تركيبات وتعقيدات لا يتيسر استبيان معالمه فيها دون ان يتوافر المرء فى ترو وتؤدة على دراسة وتعقل قران الله وحكمة الرسول بحيث يتمكن من تعيين المحاور الاساسية لهذا « الصراط الامثل » فى ابعاده « الأخلاقية » و« العلمية » ، اذا جاز لنا هذا التمييز مصطلحيا (٧٥) ومن هنا كان لابد لنا من ان نتقصى الحقيقة القرآنية عن الانسان والكون (منذ بدء الخليقة) وأن نستوضح المنهج القرآنى « الامثل » « للايمان فى اقتفاء الصراط المستقيم كما فعلنا فى الفصول السبعة السابقة .

هكذا تبين لنا مما سبق كيف ان الله القدير قد خلق الانسان من صلصال الارض وميزه بعقله على سائر اممها « من طير وحيوان » ، وكيف ان الله العليم قد اصطفاه وحاباه على مختلف الملائكة والجن فجعله دونهم « خليفه » على

الارض وامما تبجيلا لمعرفته « الاسماء » (مفاتيح العلم) . وتبين لنا ايضا كيف ان فصول المأساة الانسانية قد بدأت بارتكاب ادم وزوجته حواء خطيئة العصيان الكبرى وسقوطهما من نعيم الجنة الى الحياة الدنيا ، وكيف اضحى الانسان يعانى بعدها مشقات الدنيا ومحدوديتها ويتملظ حنينا وشوقا للعودة إلى الجنة ، وطنه الاول ، التى ما لبث يتمثلها نموذجا لحياته على الارض وينشدها املا لحياته الاخرى .

ولم يترك الرحمن الرحيم بنى الانسان دون وسيلة فى حياتهم الدنيا فقد وهبهم العقل واخلفهم على الارض بمواردها ، وفوق ذلك ارسل لهم الانبياء ولا سيما رسول القرآن وخاتم الانبياء « بالكتاب والحكمة » (ليذكرهم بالاسماء : مفاتيح العلم) كأساس للايمان ومنار للاضطلاع بمسئوليات الخلافة على الارض قفوا « للصراط المستقيم » . فما على الانسان حتى ينال الفلاح الا ان يكفر عن عصيانه والا يتهاون فى جهاد نفسه (الجهاد الاكبر) ليتمكن من اجتياز رحلته فى الحياة الدنيا بين داغل سبلها وواعر دروبها مهتديا بعلم الله منارا للايمان به والاسلام له . ولكن نظرا لتعدد سبل الحياة الدنيا الاخرى ، ونظرا لعديد التصرفات والقرارات التى يتسنى على المرء اتخاذها كل يوم ، ولئلا يفقد قبلة الصراط المستقيم او يضل فى متاهات السبل الاخرى كان لابد من معالجة مسألة « المنهج القرآنى » كما اوحاه الله لرسوله واهتدى به المسلمون فى فجر الاسلام .

لقد تبين لنا ان القرآن ورسوله الحكيم قد جعلا من « العلم » الوسيلة المثلى والمنار الهادى على صراط الايمان ، واخبرنا الله العليم فى قرآنه بلا نهائية علمه الذى يتجلى فى معجزات خلقه تعالى لنظام الكون البديع ونظام حياة الانسان كجزء منه ، وكيف انه جعل من هذه المعجزات « ايات وبينات » تشهد على وجوده الدائم اذ تشهد على الدوام الابدى « للسنن والنواميس » التى ارساها الله القدير لتحكم حركة الكون « دون تحويل او تبديل » ومن ثم فقد حض الله ورسوله الانسان على ان ينهل ويتشرب من « بحار » العلم وأن يستعين فى هذا المطلب بما وهبه الله واصطفاه من « عقل » فقد جعل القرآن بين « العلم والعقل » (كما جعل بين « الكتاب والحكمة ») علاقة تلازمية « صميبيوطية » اذ لا علم للانسان بدون عقل ولا نفع لعقله بدون علم .

وبناء على ما سبق توصلنا الى الاستنتاج بانه اذا كان الاسلام يحض الانسان على تعظيم حصيلته من العلم كوسيلة مثلى لترسيخ الايمان بخالقه ، وبما ان العقل هو الوسيلة الفريدة لتحصيل العلم ونشره ، فإن السير على صراط الايمان يتطلب من الانسان الجهاد الاكبر بحشد وتكريس ملكات عقله . وعلى الانسان فى ذلك الاستعانه بحواسه المختلفة (وهى ادوات لعقله تربطه

بالعالم الحسى) ليسجل شواهد نظام الكون بان يسمع وينصت وان « ينظر ويرى » وبعد ذلك عليه ان « يفكر ويتفكر » « ليفقه ويتفقه » « ثم » « يعقل ويتعلق » ليتحقق من ايات وبينات الوجود الالهى مكتشفا سننه ونواميسه التى لا تتبذل ، بعبارة اخرى على المسلم ان يعتمد على ما نسميه فى العلم الحديث « الاستقراء والاستنباذ » (وهما جناحا المنهج العلمى الحديث) للاهتداء الى صراط الله المستقيم .

ولا عجب ان ينبنى المنهج القرآنى للايمان على ملكات عقل الانسان فما جعل الله من العقل الا المصفاة التى يمر منها كل ما يرد اليه من افكار وما يصدر عنه من قرارات وما يبدر منه من افعال . ولا غرو إذن ان يوجب الله على المسلم الاستعانة « بالعلم والعقل » لاستبيان وقفو « الصراط المستقيم » باعتباره « المسار الامثل » (أخلاقيا وعلميا) للاضطلاع بمسئوليات خلافته على الارض فى غمار رحلته عبر الحياة الدنيا متمثلا فيها الجنة وهى وطنه المفقود وغايته فى الحياة الاخرى ، اذ ان « الصراط المستقيم » فى القرآن هو « اقصر السبل واقصدها » نحو غايات الانسان الدنيوية والروحية . وهكذا فإنه ليتبين خريطة الصراط المستقيم لابد للمسلم ان يكتشف ويتعرف على « سنن الله الدائمة » التى ارسى على اساسها نظام الحياة الانسانية تناغما مع نظام الكون وكائناته الاخرى ، اى يتعرف على السنن الاخلاقية التى تحكم علاقات الانسان الفرد بمجتمعه والسنن والقوانيين « الطبيعية » التى تحكم حركة وعلاقات المخلوقات مع بعضها . اى انه على المسلم وهو يتبين معالم خريطة الصراط المستقيم (صراط الله الامثل » ان يسترشد ذلك بمحوريها او بعديها الاساسيين وهما : « المحور الاخلاقى » و « المحور العلمى » إذا جاز هذا التمييز فى الاصطلاح (٧٦) وليس من الصعب استبيان هذين المحورين وقد اعطانا الله « الكتاب والحكمة » وبهما (بالمحورين) يتيسر للمسلم ان يبصر صراطه « الامثل » فى غبار مسيرة الحياة الدنيا وضباب ايامها المتتابعة وخضم تفصيلاتها المتزاحمة .

وبعد ذلك واجهنا المسألة الانسانية من منظور اقتصادى فبحثنا عن أصل المأساة الانسانية فى فجر الخليقة وتبين لنا كيف كان سقوط ادم وحواء من الجنة نذيرا ببداية ام مشكلات الانسان (لا سيما المشكلات الاجتماعية والسياسية) ألا وهى المشكلة الاقتصادية فالمشكلة الاقتصادية الام هى اشكالية الندرة النسبية فى عموميتها : أى ندرة الموارد الدنيوية (على كثرتها) بالنسبة لحاجات الانسان المتباينة المتنامية والمتكالبة المتغالبة بلا منتهى . وحال الدنيا فى هذا هو الضد المقابل لحال الجنة حيث الموارد لا نهاية لها بالنسبة لحاجات اهلها . ومن ثم كان من الطبيعى ان نثير السؤال الاستفسارى التالى : اذا كان الله قد انعم على بنى الانسان بغزير الموارد واوفد لهم الرسل والانبياء « بالكتاب والحكمة » لارشادهم الى الصراط

المستقيم ، فلماذا اخفق الانسان فى خلافته على الارض عبر التاريخ ؟ الم يكن فى مستطاع بنى الانسان ان يحيوا فى دنياهم حياة رغيدة آمنة بما وهبهم الخالق الكريم من موارد وبما رفعهم به من عقل وحكمه ؟

لقد وجدنا من ايات الذكر الحكيم ان العلة تكمن فى صلصالية الانسان التى تحدد طبيعته الفطرية ويتمخض عنها نقائص النفس البشرية ومحدوديتها سواء تعلق ذلك بتقلباته النفسية وميوله الى التعجل والطغيان او سواء كان فى ميوله الى الغرر والغطرسه والكنود وخاصة اذا « استغنى » وكل هذه النقائض تتغذى من تميز الانسان الفطرى بحب النفس والاثرة ولا سيما حبه الشديد للاستئثار بالثروة (ربما حبه للأمن وخوفه من انعدامه) . بسبب ومن جهة اخرى وجدنا ايضا من حكمة القرآن ورسوله ان الثروة ليست بالضرورة مفسدة اذ يتوقف الامر على كيفية تحصيلها ومناحى استخدامها والغاية منها ، استخدامها والغاية منها ، كما تبين لنا ان حب المال والسعى فى طلبه ليس بالضارورة فسادا اذ يتوقف الامر على رد فعل حائزه تجاه ربه وتجاه الاخرين (ولا سيما اهله وامته) وعلى كيفية طلبه وكسبه . فطالما « اختار » الانسان ان يجاهد نقائض نفسه (الجهاد الاكبر) ويسعى الى تزكيتها وتطهيرها بالعبادات تمنعا عن الفساد والطغيان والكنود والغرور وما شابهها من الامراض الروحية التى تتغذى على « الاستغناء » ذلك الشعور الطفيلى الذى يمكن ان ينمو ويتطحلب فى رحم الغنى والثراء ، اقول طالما جاهد الانسان هذه الجراثيم الروحية فى سراديب نفسه المعتمه فان له ان يستجلب الثروة نموا وان ينعم بحلال المال والاستمتاع بما يوفره له ماله من نعيم الاستهلاك الدنيوى لا سيما وان الاسلام على خلاف ما سبقه من اديان يقرر ويقر قدرة الانسان على اختيار مصيره بنفسه ولنفسه « بأذن الله » القدير والعادل واذا كان للانسان المسلم حتى يتعامل مع جوهر المشكلة الاقتصادية (وهى ام المشكلات الاجتماعية والسياسية) قد « اذن له » ربه العادل ومنحه الحرية لعقد الاختيارات اللازمة لمجابهتها فقد تبين لنا ان طبيعة المشكلة وتأصيلها فى « الندرة النسبية » تفرض مجموعتين من الاختبارات لمجابهة اشكاليتيها المتداخلتين الاولى هى اشكالية « تخصيص » موارد المسلم البشرية (أى وقته) وموارده المالية (ارضه ورأسماله) بين العبادات والصالحات (بما فيها الزكاة والصدقة) من ناحية وبين المنتجات والمنافع الدنيوية على مختلف انواعها من ناحية اخرى ، ولنطلق على ذلك « مسألة التخضيص » والاشكالية الاخرى هى توزيع « ناتج الامة » من السلع والخدمات بين اعضائها ولنطلق عليها « مسألة العدالة » اذ يطلب الاسلام ان يتحقق هذا التوزيع التوازن الاجتماعى والسياسى عملا بقول الخالق العادل : « كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » .

ومن ثم يثور السؤال الذى يواجه المسلم فى خضم حياته اليومية الا وهو

ذلك السؤال المحورى لهذا البحث : بما ان « الصراط المستقيم » هو « المسار الامثل » والسبيل الاقصر لرحلة الحياة الدنيا تمثلا فيها لنعيم الجنة غاية المؤمن فى حياته الاخرى ، واذا كان على المسلم ان يقتفى المنهج القرآنى (منهج العلم والعقل) فى يومياته للاضطلاع بمسئوليات خلافته على الارض فما هى « المعايير » و« الضوابط » التى يتسنى على المسلم الاسترشاد بها عندما يعقد « اختياراته » المختلفة (لا سيما الاقتصادية) اخذا باسباب الحكمة ، حكمة كتاب الله ورسوله ؟

لقد تبين لنا من ايات الذكر الحيكم أن غاية المسلم من اعماله واختياراته فى رحلة دنياه (من معاملات وعبادات) هى ان يحقق « صالح نفسه » اى مصلحته الشخصية (فى معناها الواسع وبعيد النظر) اذ يقول عز وجل مرارا وتكرارا « من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها » جاعلا من هذا المبدأ احد « سننه الدائمة » للسلوك وفى يوميات حياته الدنيا يحقق المسلم صالح نفسه بان يتحصل على نفعه ومنافعه فالى جانب نفعه ومنافعة الدنيوية يقوم المؤمن بالعبادات ويسعى الى الاعمال الصالحة والنافعة للاخرين فى دنياهم فيدعم صالحه الدنيوى ويفوز فى النهاية بجنات النعيم فى حياته الاخرى .

ومن ثم تبين لنا ان اقتفاء الصراط المستقيم نحو « نعيم الفردوس » يلزم المؤمن بان يتوخى « الحكمة » فى السلوك بعد ان يتعرف على مختلف نواميس وسنن الكون الدائمة فيعقد اختياراته بما يعود عليه وعلى الاخرين بالنفع والمنافع وعليه فى ذلك ان يحسب ويتحسب ويعقل ويتعقل فى تخصيص وقته وماله عاقدا الموازنات المختلفة بحيث يوجه للعبادات والأعمال الصالحة « الحد الامثل » من موارده فيقدمها « ثمنا لشراء » نعيمة الاستهلاكى وامنه فى الحياة الاخرى والمسلم وهو يفعل ذلك فانه يتبع نفس المبادىء والسنن التى يطبقها فى نشاطه التجارى اذ انها تبادل رابح وتجارة « لن تبور » .

والى جانب ذلك فانه فى قفوه للصراط المستقيم (مستطلعا علم الله الواسع) فأن كتاب الله ومقتضيات الحكمة تقتضى من المسلم حتى يحقق « صالح نفسه ونفعه » ان يحيا فى وفاق وتناغم مع قوانين وسنن نظام الكون بان يتعامل بالقسطاس المبين وان يبتغى العدل ويتمثل بالنزاهة تجنبا للظلم والطغيان شأن المسلم فى ذلك مع أمته والامم الاخرى (من انسان وطيور وحيوان) كشأن نظام الطبيعة حيث « مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان » (٥٥ : ١٩ ـ ٢٠) كما هو ايضا شأن السماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا فى الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » (٥٥ : ٧ ـ ٩) وهذا هو عين الصراط المستقيم (لا سيما من وجه نظر المعاملات) اذ يقول عز وجل بعد ان (يأمر بايفاء اليتيم حقه وماله) « واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا

ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون (٦ : ١٥٢ ـ ١٥٣) وفوق ذلك فانه ايضا من سنن الله للصراط المستقيم (وبينما يصبو المرء الى القسطاس المبين) ان يتوخى المسلم الدقة تناهيا الى « مثقال الذرة » فى كل حساباته وقراراته وفى اعماله ولا سيما المعاملات أى على المسلم ان يتمثل ويتحلى « بسننه الدقة » التى ارسى على اساسها الخالق جل وعز نظام الكون (طبيعيا كان او انسانيا) .

لا غرور اذن ولا عجب ان يتخذ الله فى عليائه من نفس السنن والقوانين ناموسا للعلاقات الاجتماعية بين اعضاء الاسرة الانسانية بصفة عامة وفى تعاملاتهم التجارية والاقتصادية بصفة خاصة ففى هذا الاطار من سنن العدل والنزاهة والقسط والدقة على المسلم ان يعقد سائر الاختيارات المتعلقة بتخصيص وقته وموارده الاخرى على « آفاقها وهوامشها » المختلفة وعليه فى ذلك وحتى ينتهج صراط الله الامثل ان يسترشد بنور العلم للاستعلام بدقائق موارده وبدائله حتى يتبين ثم يقيم « حدود » خالقه على حريته فى الاختيار والمسلم اذ يفعل ذلك وحتى يحظى بتعظيم « النفع والامن » لنفسه ولأمته فأن عليه اعمال الحكمة بالابتعاد عن « الغلواء » التى ينهى عنها الله وان يسعى الى « الاختيارات التوازينية » مسترشدا « بسننه التوسط او الوسطية » التى سنها الله منارا للامة الاسلامية « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (٢ : ١٤٣) .

اى انه على المسلم ان يشرع فى تخصيصه لموارده عموما الى امثليات الاتزان والتوازن « قواما » بين قطبى او طرفى الغلواء ، اى بين الاسراف والتقتير عملا بقوله تعالى : « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (٢٥ : ٦٧) وقوله ايضا « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (١٧ : ٢٩)

وهكذا وجدنا ان استهداف الامثليات الوسطية اى « التوازنية » هو عين الحكمة الاقتصادية ايا كان هامش الاختيار او نوعه ومهما اختلف الافق الزمنى له : اى سواء كان الاختيار يختص وقت المسلم وماله بين العبادات والصالحات من ناحية وبين منافع ومتاع الدنيا من ناحية اخرى ، او سواء كان الاختيار يختص بتخصيص موارده بين نافعات الاستهلاك الحاضر وبين النافعات المستقبلية (بالادخار) اى اختيار المسار الزمنى الامثل للمنافع الدنيوية او سواء كان الاختيار يتعلق بتخصيص موارده فى اى حقبه قرارية من حياته الدنيا (ولا سيما الحقبة الحاضرة) بين اوجه المنافع الدنيوية المتزامنه اى اختياره لنمط الاستهلاك التزامنى الامثل من السلع والخدمات .

ومن ثم نستنتج ان المسلم اذ يتمثل بهذا السلوك فى تخصيصاته لوقته وماله بأن يجاهد بعقله فيعقل ويتعقل ليعلم ويتعلم (سنن الخالق) حتى

يحسب ويتحسب ابعاد اختياراته ويسترشد بحكمة « التوسط والتوازن » الى ذلك المسار الديناميكى الامثل (تعظيما للنفع والامن لنفسه وامته) فانه يكون فى اضطلاعه بخلافته على ما يخصه من موارد الارض واممها قد شرع سيرا على « صراط الله المستقيم » فى رحلة حياته الدنيا نحو ضالته وغايته فى نعماء وامن جنات الفردوس اليس فى ذلك ذروة الرشادة الاسلامية ومنتهى الحكمة القرانية ؟

واذا كان الصراط المستقيم هو صراط المسلم « الامثل » فى تخصيص وقته وماله بغية تعظيم « النفع والامن » لذاته ولأمته فما هى علاقة الصراط باشكاليات علم الاقتصاد السياسى وطرائقه المستقر عليها بين امم الارض المعاصرة ؟

اعتقد ان الاجابة على هذا السؤال اضحت واضحة ، بعدما تقدم من فصول ـ لاى متخصص يلم بطرائق علم الاقتصاد الحديث وبتاريخ الفكر الاقتصادى ولا سيما ابتداء من عصر النهضة الاوروبية ولكن قبل الخوض فى الاجابة على السؤال ، هناك حقيقتان تاريخيتان يجب التنوية عنهما نظرا لاهميتهما لما يلى من اجابة . الحقيقة الاولى : هى ان « علم الاقتصاد » كما نعرفه اليوم كعلم امبريقى مستقل هو علم حديث لم يستكمل ملامحه المعاصره حتى بزوغ القرن العشرين ، اذ نما استجابة لتحديات ازمات هذا القرن والتعقيدات البالغة للهياكل البنيانية لانظمته الاقتصادية (رأسمالية كانت او اشتراكية) فضلا عن الطفرات التى شهدها القرن فى العلوم وتقنيات الانتاج(٧٧) ومع ذلك فانه من الثابت ايضا ان التفكير الاقتصادى الاوروبى قد بدأ قبل تفجر عصر النهضة (فى المدائن الايطالية) وعقب الحرب الصليبية (التى دارت رحاها بين ١٠٩٥ ـ ١٢٠٤م) بدأ كنتيجة مباشرة للفشل الاوروبى امام الحضارة الاسلامية من ناحية وللنقل الفكرى والحضارى الذى شاع منها (ومن شمس النهضة والاصلاح الدينى) عبر اوروبا اثناء تلك الحروب وبعدها من ناحية اخرى ـ اقول بدأ التفكير الاقتصادى الاوروبى ، كجزء من حركة اصلاح الدين المسيحى ، على يد اساتذة المدارس اللاهوتية (الاسكولاستيكيين) الذين وصل تفكيرهم ذروته (قبل ان يلفظ نظام الاقطاع انفاسه بقرون) فى كتابات سان

توماس الاكوينى (الذى عاش بين ١٢٢٥ ـ ١٢٧٤م) متأثرا بالتفكير الاسلامى الزاهر والكتابات العربية عن فلسفة الأغريق (اشعاعا من منارات ومراكز الفكر العربى فى اوروبا) (٧٨) فلا عجب اذن ولا غرو ان كانت الاشكاليات الاقتصادية (الاسكولاتيكية) تتشابه الى حد كبير مع اشكاليات « الصراط المستقيم » الاقتصادية ولكن فى اطار النظام الأخلاقى للمسيحية الاوروبية .

واستمر الأمر على هذا النحو فى التفكير الاقتصادى الاوروبى فى عصر الرأسمالية التجارية (المركنتالية) التى ارضعت وتغذت فى نفس الوقت من الانفجار العلمى ولاسيما فى تقنيات المواصلات وما ترتب على ذلك من نمو الأسواق الوطنية فى اوروبا فى العالمين القديم والجديد .. أقول استمر التفكير الاقتصادى الاوروبى على هذا النحو الى عصر مؤسس ورائد علم الاقتصاد الكلاسيكى ، أدم سميث (وعاش بين ١٧٢٣ ـ ١٧٩٠م) اى عندما بدأ نظام الاقطاع الأوربى يلفظ أنفاسه غريبها معلنا بزوغ فجر الرأسمالية الصناعية ولاسيما فى بريطانيا ، وعندما فقدت بريطانيا أهم مستعمراتها فى العالم الجديد عقب اعلان الاستقلال الأمريكى فى عام ١٧٧٦م (٧٩) لقد حدثت الطفرة والتحول فى التفكير الاقتصادى الاوروبى (ولاسيما فيما يتعلق بعلاقة الاقتصاديات بالاخلاقيات) فى عصر أدم سميث ، وتجلت بصفة خاصة فى حياته وتفكيره ، ودون الخوض فى التفاصيل ، يتبين ذلك من عناوين كتاباته ، وأهمها كتابان : الأول زمنيا هو كتاب عن « نظرية الوجدانات الأخلاقية » الذى صدر فى عام ١٧٥٩م ، والثانى هو كتابه الشهير عن « بحث فى طبيعة واسباب ثروة الأمم » الذى صدر فى عام ١٧٧٦م (وهو ـ ليس مصادفة ـ نفس العام الذى أعلن فيه الأمريكيون استقلالهم عن الامبراطورية البريطانية) (٨٠)

والحقيقة التاريخية الثانية ، وترتبط بالحقيقة الأولى ، هى الدرجة العالية من الرقى والتقدم التى حققها التفكير الاقتصادى بين قدماء المسلمين العرب والتى تجلت فى عبقريات مقدمة ابن خلدون (الذى عاش بين ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م) ومن سبقه ـ كما ذكرنا سابقا (٨١) ، هذه الحقيقة يعرفها المستشرقون المتخصصون فى الاسلام ولكن يتجاهلها المتخصصون فى تاريخ الفكر الاقتصادى فى الدوريات والجامعات الغربية فلا يعطونها حقها من المعالجة ولاسيما من وجهة تأثيرها على الفكر الاقتصادى الغربى (٨٢) واقرارى لهذه الحقيقة التاريخية هنا لا ارجو اعتباره من قبيل ادبيات الحماسة والفخر وما الى ذلك من داء النرجسية الثقافية الضار ، وانما من اقتناعى المطلق بأهمية اقتحام هذا الميدان من قبل اقتصاديى المسلمين والعرب (كما يفعل ابناء عمومتهم فى الأدب والانسانيات والعلوم الاجتماعية

الاخرى) توسيعا لآفاق العقل الاسلامى وإثراء للقاموس العربى الحديث وتغلبا على أخطر أنواع التبعية للغرب وهى التبعية العلمية والفكرية ولاسيما فى ميدان الاقتصاد السياسى (٨٣)

وعودة الى سؤالنا الأساسى بعد اقرار هاتين الحقيقتين التاريخيتين ، فانه لاعجب فى أن نجد أن لفظ « الاقتصاد » كما نستخدمه فى العربية المعاصرة وهو ينحدر عن لفظ « القصد » فى العمومية الفصحى (اى التوسط أو التوازن بين الاسراف والتقتير) يعبر بدقة عن فحوى ومفهوم نظائره فى اللغات الاوروبية (٨٤) فعلم الاقتصاد الاوروبى أو الغربى الحديث (فى مفهومه التقنى الضيق) ، وهو ينطلق من اطروحة « الرشادة الاقتصادية » ويستهدف دراسة سلوكيات الوحدات الاقتصادية وهى تجابه اشكاليات ندرة الموارد النسبية ، فانه (اى العلم الاقتصادى) يعتمد عموما على ادوات « المنهج العلمى » السابق شرحها ، وبالتحديد فانه يستخدم (فى صياغة وفحص نظرياته) الطرائق الحسابية (اى الرياضية والاحصائية) لبحث وتعيين توزنات الحلول المثلى » ، ولاسيما استخدامه رياضيات (النهايات المثلى) فى تعبيراتها الاستتيكية والديناميكية (٨٥) . اى أن علم الاقتصاد الحديث يستخدم ويعتمد على نفس المنهج والطرائق « العقلية والعلمية » التى أوحى واوصى بها الله ليهتدى بها المسلم لصراط الحلول المثلى ، الا وهو « الصراط المستقيم » ولكنه على خلاف اشكاليات الصراط المستقيم ، فان علم الاقتصاد الاوروبى قد سار ، كما ألمحنا سابقا ، فى الطريق الذى مهد له أدم سميث سعيا الى الفصل بين الدين والدولة (ربما بحكم خصوصيات الصراعات الدينية الدامية فى التاريخ الاوروبى) حتى اصبح العلم يعزف ويتابعد فى تنظيراته ونظرياته المعاصرة عن المعالجة الصريحة لمختلف « الاختيارات الأخلاقية » التى ينضوى عليها » الصراط المستقيم » ولاسيما ما اختص منها بعلاقة الدنيويات بالحياة الاخرى . وبعبارة اخرى ، لقد اضحى علم الاقتصاد الغربى الحديث يتواضع فى طموحاته البحثية فلا يخرج فى معالجاته عن اشكاليات الاختيارات الاقتصادية الدنيوية التى تتباعد صراحة (او ضمنا) عن اصدار الأحكام الاخلاقية ، والعلم الاقتصادى اذ يفعل ذلك فانه يترك تلك « الاختيارات الأخلاقية » لتصبح موضوعا لعمليات الاختيار السياسى « المتسامح » فى اطار ديمقراطية الحكم الليبرالى الذى يفترض بدوره توافر ديموقراطية السوق اقتصاديا (٨٦) .

انطلاقا من هذا الطموح المتواضع فان حصيلة تقدم « علم الاقتصاد » الغربى منذ عصر النهضة الاوروبية هى توصلة حديثا الى اطار مشترك لتحليل اشكاليات الاختيارات الدنيوية للفرد الاقتصادى ، ولك هو ما يسمى باطار « الدورة الحياتية » الذى ابتكره الاستاذ موديجليانى فى أوائل الخمسينات من

هذا القرن (٨٧) وبمقتضى اطروحة الدورة الحياتية « ينقسم الأفق الزمنى لحياة الانسان اقتصاديا الى مرحلتين أو حقبتين الأولى هى حقبة « الكسب » والثانية حقبة « اللاكسب » اى مرحلة الشيخوخة معاشيا ، والنتيجة الأساسية لهذه الأطروحة هى أن الاختيارات الدنيوية الحاضرة للانسان (الاقتصادى) الذى يسعى الى « النفع الأمثل » اى الى الاشباع الاقصى من موارده ، اقول ان هذه الاختيارات الاقتصادية ترتبط ارتباطا وثيقا وتتأثر تأثرا مباشرا « بتوقعاته » (اى بتنبؤاته) عن صافى ايراداته المستقبلية (خلال بقية دورته الحياتية) من ثروته بشقيها المادى والبشرى (اى المال والنفس والبنون) الى جانب ما يعلمه ويدركه عن ايراداته الحالية .

ونظرا للقوة البدهية والامبريقية لفكرة الدورة الحياتية فقد انتشر استخدامها فى الخمسين سنة الماضية وضربت اطنابها فى جسد علم الاقتصاد الحديث وفروعه النظرية والتطبيقية ، واتخذت الفكرة فى ذلك تجسيدات مختلفة وصياغات شتى ـ بغية التعليل والتنبؤ بمرامى الاختيارات « التخصصية » « المختلفة للفرد الاقتصادى (وبالتالى الجماعات) ـ سواء اختص الاختيار الدنيوى بتحديد ما يخصصه الانسان من وقته للكسب وما عداه (اى عرض مجهوده) او سواء اختص بتحديد مجمل الاستهلاك الحالى فى مقابلة الادخار (لقنطرة وتركيم المال للمستقبل) ، أو سواء اختص الاختيار بتعيين . نمط الاستهلاك ومكوناته تزامنا ، وسواء كان الاختيار فى كل هذه التجسيدات والأفاق يتم بيئة من اليقين أو عدمه (٨٨)

ان القاسم الأعظم والعمود الفقرى لكل الصياغات والتجسيدات السابقة الذكر (لأطروحة الدورة الحياتية) هو الوجود الافتراضى « لدالة نفع ديناميه » تعكس تفضيلات الفرد (الفطرية والمكتسبة) للبدائل المتاحة له فى اختياراته الاقتصادية ، فتعبر الدالة رياضيا عن العلاقة السببية المنتظمة بين « مدى » الاشباع (أى النفع) الذى يتحصل عليه المرء وبين مصادر الاشباع من (أى النافعات التى تدر النفع له) خلال ما تبقى دورته الحياتية (٨٩) ويجب هنا المسارعة بالتنويه انصافا بأن هذه الصياغة للنفع فى علم الاقتصاد الغربى ، وهى تبغى التجريد من الاعتبارات الأخلاقية فى الاختيار الاقتصادى ، اقول هذه الصياغة ليست بالضرورة من قبيل « اللا اخلاقية » اذ انه من المفترض ضمنيا أن « الوجدان الاخلاقى » يدخل فى « دالة النفع » الفردية ليحدد « معلماتها » الثابته او المعطاة ، وبالتالى فهذه لكونها ثابتة ساكنة فانها لاتؤثر فى حركة المتغيرات موضوع الاختيارات (رغم ان هذه المعلمات تتدخل فى تحديد المناسيب الابتدائية او القاعدية لتلك المتغيرات) (٩٠) ومن ثم فانه من الطبيعى اذا أردنا بناء نظرية للاختيارات الاقتصادية » تعبر عن سعى الفرد المسلم لقفو « الصراط المستقيم » اى عن

المسار الزمنى الأمثل لقرارات وقته وماله التخصيصية بغية تحقيق نفعة فى الدنيا ونعيمه فى جنات الفردوس ـ اقول اذا أردنا ذلك فان التحدى الماثل امام اقتصاديها المسلمين على المستوى النظرى هو ادخال « الاختيارات الاخلاقية » (من عبادات وصالحات) الى اطار التحليل النظرى ـ بل ويصبح من جهاد الاقتصاى الأكبر أن يقتدى بالسلف الصالح فى فجر الحضارة الاسلامية وعصرها الذهبى حينما أخذ « علماء » المسلمين يجوبون اركان البسيطة ويلتهمون ثروتها الفكرية وكتبها « طلبا » للعلم والحكمة وعملا بتعاليم كتاب الله وحكمة رسوله (٩١) وهكذا فمن الطبيعى أن تكون « أطروحة الدورة الحياتية » للسلوك الاقتصادى هى نقطة البداية للاقتصاد المسلم لينصب جهاده ومجهوده على دفع حدودها فيما وراء الاختيارات الدنيوية البحتة وعلى تعميمها اسلاميا بادخال الاختيارات الاخلاقية السليمة على نحو صريح وفاعل وبغية تبين الشروط أو « الاشتراطات » السلوكية « لأمثليات » الصراط المستقيم أقول أن ذلك من الطبيعى نظرا لاعتقادى المتواضع والذى توصلت اليه فى الفصول السابقة ـ على أساس من ايات كتاب الله وحكمة رسوله ، وما رجعت اليه من تلك النظرات الثاقبة والحكيمة لجهابذة السلف الصالح من علماء وأعلام الفكر الاسلامى ولا سيما اولئك الذين توفروا على دراسة « المعاملات » « والتعاملات الدنيوية على المستوى النظرى ـ اقول نظرا لاعتقادى بأن « أطار الدورة الحياتية » ـ فى حد ذاته وعموميته كإطار للتحليل ـ لايتناقض بالضرورة بل ينسجم ويتآلف مع روح الحكمة القرآنية « تجاه ، امثليات الصراط المستقيم » الاقتصادية ولاسيما إذا ما ادخلنا فى هذا الاطار « متغيرات » الاختيارات الاخلاقية صراحة .

ولكن كيف يتسنى لنا ادخال تلك الاعتبارات الاخلاقية فى ذلك الاطار التحليلى لدورة الحياة الاقتصادية ؟

ان الاجابة على هذا السؤال لابد وأن تبدأ من المفهوم القرآنى لحياة الانسان فالقرآن كما ذكرنا سابقا ، مثله فى ذلك كمثال كتب الله السابقة عليه يبين لنا ويذكر مرارا وتكرارا أن حياة الانسان لاتنتهى بزواله من الدنيا اذ ينتقل بعدها الى « الحياة الاخرى » كما يبين لنا ان فى مستطاع الانسان « بأذن الله » ان « يكتسب » نعيمه وأمنه فى الحياة الأخرى اذ يعقد الاختيارات السليمة على صراط دنياه المستقيم.ومن هنا كان من المعقول أن اقترح أن الدورة الحياتية للمسلم « الحر » تتكون من حقبتى « الكسب » و « اللاكسب » المعاشى فى حياته الدنيا ثم « الحياة الأخرى » على التوالى وبالتالى فان اصول الرشادة الاسلامية تقتضى من المسلم الحر (وحتى ينال النفع الأعظم من كل حياته) ان يعتبر كل فترة قرارية من حياته (ولاسيما الحاضر) اذ يعقد مختلف الاختيارات التخصيصية لوقته وماله قفوا للمسار

الأمثل أى أن الرشادة الاسلامية تقتضى من المسلم ان ينظر بتفاؤل وايمان الى كل فترة قرارية حاضرة فى علاقتها ببقية دورته الحياتية وعلى اعتبارها خطوة على الصراط المستقيم نحو وطنه المفقود فى جنات الحياة الأخرى .

واذا ما رجعنا منهجيا الى حكمة المنهاج القرآنى السابق توضيحه ، فأنه من وجهة النظر التحليلية يجب علينا عند دراسة السلوكيات الاختيارية للفرد المسلم ـ يجب التمييز منهجيا بين الكينونة « الايجابية » لمشاهدات السلوك (أى كما هو كائن او سيكون فى الواقع) وبين كينونته « الوجوبية » (اى كما يجب أو ينبغى ان يكون اخلاقيا او دينيا) (٩٢) فالفرق والبون بين الكينونتين يتوقف على علم الفرد ومدى ايمانه وورعه وغير ذلك من العوامل التى قد نجهلها فيعلمها الله ، ولنسمى كل هذه العوامل فى اجماليتها بمعامل او نسبةالايمان اذا كان لنا أن نستخدم لغة الرياضيات (٩٣)

واذا كان الأساس فى الاسلام هو الحرية فى السلوك ، واذا كان أيضا الهدف من التحليل هو الرصد والتنبؤ لمتغيرات السلوك الاقتصادى علما وتنورا لصالح الأمة وتحقيقا لنفعها الجماعى ، فلنبدأ اولا بدراسة الواقع الايجابى للسلوك الفردى ولأقترح الاعتماد وتشتمل على كل « متغيرات الاختيار » الملائمة للمسألة محل البحث بما فى ذلك مخصصات العبادات والصالحات فتدخل مخصصات الصالحات هذه الدالة كمتغيرات « اختيارية » او « ضبطية » يتحدد بها منسوب النفع الفعلى طبقا لمعدلات تتناسب طرديا مع معامل الايمان الخاص بالفرد وفى اطار دورته الحياتية ديناميكيا بما يتوافق مع معامل ايمانه من معدل للتفضيل الزمنى (٩٤) .

وعلى الرغم من الصعوبات التحليلية والرياضية التى تعتور معالجة هذا الاطار الديناميكى المعقد والمشقات اللازمة لتبين « الامثليات » فى خلول المسائل التخصيصية لهذا النوع من الاختيارات الفردية (على الصراط المستقيم) الا اننى اعتقد أن مجابهة هذا التحدى يدخل ضمن جهاد الباحث فى التقليد الاسلامى ليصبح واجبا على طالب العلم أن يؤمن مبدئيا وابتدائيا « بوجودية » هذه الحلول المثلى ضمن ايمانه « بوجودية » صراط الأمثليات المستقيم على الرغم من جهلة الحالى بها (٩٥) ومن ثم يكون ـ فى رأيى ـ التزام الباحث الاقتصادى المسلم : أن يجاهد ويبذل قصارى جهده بعلمه وعقله لاكتشاف الأبعاد الشروطية لأمثليات الحلول التخصيصية للموارد حتى يتسنى تكريسها وتثميرها لصالح الأمة ونفعها الجماعى ضمن أمم الأرض . انطلاقا من الايمان السابق الذكر « بوجودية » دوال النفع الخاصة بأعضاء الأمة وأعتبارا لانتظامية « التوزيعات الاحتمالية » لهذه الدوال (وما يقترن بها من معاملات أو نسب الايمان الفردية) ضمن سنن الله الكونية ، التبعية أقول انطلاقا من « وجودية » توزيعات الحلول المثلى لاختيارات الأفراد التخصيصية فى أى فترة قرارية والى جانب ذلك بافتراض توافر نوع كاف من

« الاستمرارية » النسبية لتلك التوزيعات الأحتمالية عبر الزمن كجزء لايتجزأ من سنن الخالق « التى لاتتبدل » (٩٦) أقول اعتبارا لهذه المنطلقات النظرية فى عموميتها على طالب العلم والباحث أن يؤمن بأنه ليس من المستحيل بل من الممكن انسانيا توقع ورصد المسار التلقائى المحتمل لحركة « المؤشرات الأساسية » لنفع الأمة وصالحها الجماعى باستخدام أدوات العلم الاقتصادى الحديثة والمستخدمة (٩٧)

ورغم عمومية هذا الاطار التحليلى المقترح الا أنه ليس لصعب هنا أن نتخيل أنه : « لو » كانت معاملات أو نسب الايمان « كاملة » لتقاربت دوال النفع الفردية نحو التماثل (علب الأقل فيما يختص بالاختيارات الأخلاقية) ولاتجهت اشكالية العدل التوزيعى الى التلاشى من حياة الأمة الاجتماعية (اذ يحب كل مسلم لأخية ما يحب لنفسه) ولاختفت بالتبعية أو كادت مختلف المشكلات الاجتماعية والسياسية الناجمة عن الظلم الاقتصادى ولتحقق العدل فيما يقارب « اليوطوبيا » الاسلامية على الأرض (٩٨) أقول « لو » لأن « الكمال » لله وحده ولأن الكمال الفردى والجماعى لايتوافران الا فى الجنة ، وبناء عليه فانه ـ فى اعتقادى ـ لضرب من ضروب الغرور والغطرسة الذهنية بل قد يكون أيضا من العبث والجهالة الانسانية (اسلاميا) أن يزعم هذه المقدرة المفكر الاسلامي وأن يتبنى هذا الهدف أهل الرأى وأولو الأمر من المسلمين أيا كانت شاكلتهم السياسية ومشاربهم العقيدية .

فالهدف الممكن لبنى الانسان على الأرض طبقا للحكمة القرآنية ـ فى تقديرى ـ هو الشروع فى طريق الابداع الفردى والجهاد نحو « امثليات » الصراط المستقيم ، اذ تقتصر الدعوة القرآنية فى هذا المتجه على تكريس الذات للجهاد والاجتهاد فى الحياة الدنيا ليفوز المسلم بالجنة فى الحياة الأخرى ، ومن هنا كانت واقعية الاسلام العبقرية ، ومن هنا كان نجاح الاسلام التاريخى ، ومن هنا تكون امكانية نجاحه فى المستقبل كدين ودولة معا ، فى تقديرى .

واذا كان الأمر كذلك فى الواقع الدنيوى ، واذا كانت معاملات أو نسب الايمان الفردية تقع دون الكمال وتتباين فى دونيتها مهما ارتفعت ، فلنا أن نتوقع وجود الاشكاليات الاقتصادية للعدل التوزيعى ، ولنا أن نعد أنفسنا علميا للتعامل العقلى معها أينما تنحو الى الغلواء والحدة ، ولنا أن نستعد لمعالجة ما ينبثق عنها من مشكلات اجتماعية وسياسية وما يقترن بهذا وذاك من أمراض روحانية ، تجاه كل هذا فانه على الباحث الاقتصادى فى مسعاة أن يتأمل ويتسلح علميا بما يستكشف ويتحصل عليه من « الشروط الضرورية » وتلك « الكافية » لسريان الأمثليات الاقتصادية للصراط المستقيم على صعيد الأمة .

وهنا يعاودنا السؤال الذى بدأنا به البحث ويتدافع ليقرع الطبول ويطرق الأجراس ويتعالى ترنيمه من المآذن تواترا فيفرض نفسه عند كل صلاة ما هى السياسات الاقتصادية التى يجب اتباعها على مستوى الدولة ؟ وبصفة عامة ما هى « المؤسسات » اللازمة لتدور فى رحاها هذه السياسات ؟ وما هى السدات واللحمات التى تتشكل منها منظومة الاطار الاجتماعى والسياسى لتلك السياسات الاقتصادية اسلاميا وفى عالم اليوم بحيث تتناسق المنافع الفردية لأعضاء الأمة - أقول أى بحيث يتحقق ضمننا الصالح الشخصى للفرد الحر اذ يتغذى ويرتضع نفعا من صدر أمته الرءوم فيرتفع شأنها به فى نفس الوقت الذى توفر له المناخ الملائم لتعظيم ايمانه : ايمانه بنفسه فى خلافته على الأرض وبالصراط المستقيم فى رحلة حياته الدنيا نحو الوطن المفقود فى جنات خالقه ، دون الانتقاص من الحريات التى منحه الله إياها عند خلقه ودون تثبيط لقدراته الابداعية التى أودعها الله فى عقله عندما اصطفاه على الملائكة والجن .



الفصل التاسع

خاتمه

وبعد فحينما بدأت إعداد هذا البحث ـ قبل أربع سنوات ـ كنت قد استهدفت منه المس فى بناء إطار تحليلى لمعالجة مسائل الشريعة الاقتصادية . ولكننى فى غمار الدرس والاعداد ثم الكتابة تنامى إدراكى لحقيقة لم تفاجئنى . ذلك أن ما أسهمت به حتى الآن لايزيد على مجرد المساهمة فى تمهيد أرض البناء ولم يخرج عن مجرد « النبش على السطح » إذ يتطلب المزيد من الدرس والتحرى فى ترو وتؤده : التحرى فى قرآن الله وحكمة رسوله من منظور العالم المعاصر ، والتحرى فى نتاج عبقريات السلف الصالح من منظور المستقبل الاسلامى ، والتحرى أيضا فى نتاج عبقرية الانسان آينما كان ، مكانا وزمانا ، من منظور المستقبل الانسانى .

هذا الجهاد العقلى والاجتهاد العلمى يخرجان بحكم طبائع الأمور عن قدرة أى فرد أو مجموعة من الأفراد ولايجب أن يكونا حكرا على أى فرد أو مجموعة من الأفراد . فهما كما ذكرت سابقا جزء لا يتجزأ من المسيرة الأبدية لأفراد الأمة على الصراط المستقيم . ومن هنا عبرت عنه فى المقدمة . أقصد إزداد اقتناعت بالضرورة الحتمية لارساء ودعم مؤسسات الأمة على أنواعها وألوانها ولاسيما المؤسسات الخاصة بالرأى والرأى الآخر . تلك هى مؤسسات التبايع والتفاعل بينهم وبين جموع الأمة وفصائلها تحقيقا لثورة رسول الله نحو ديموقراطية الشورى والبيعه : من هنا ومن هنا فقط تبدأ الخطوات الأولى لرحلة الصراط المستقيم نحو تقدم الأمة وإزدهارها فى عالم اليوم بتفجراته التقنية وطفراته الاقتصادية على أعتاب القرن الحادى والعشرين ...

والله أعلم

الهوامش

(١) ارجع الى مقال الاستاذ WEISS عن اللغة العربية والشريعة . والى كتاب الاستاذ Gibbعن الأدب العربي . ومقاله العربى . خواطر فى الأدب العربى . والى كتاب الاستاذ Nicholsonعن التاريخ الأدبى للعرب ، حيث يتناولون تطور الأبجدية والنحو العربى ونشاتهما ودلالة ذلك بالنسبة لنشاة الفقه وتطوره .

(٢) من هنا فصاعدا نستخدم هذا النمط من الترقيم لأيات القران طبقا للنظام الذى ارساه الأزهر الشريف . فالأرقام بين القوسين فى المتن (٤١ : ٢ ـ ٣) مثلا تشير الى السورة رقم (٤١) والايات رقمى (٢ ـ ٣) فى نفس المعنى فى المتن نشير الى الايات) (١٢ . ٢) . (١٣ . ٣٧) . (٢٠ ١١٣) . (٣٩ ، ٣٨) .

(٣) ارجع الى كتاب Nicholson السابق (ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣) مثلا فى تفصيلات هذه الفروع . بالطبع لم يكن علم الاقتصاد السياسى كماتعرفه الان موجودا انذاك ولكن المسائل الاقتصادية كانت تدخل فى العلوم الشرعية اما الاقتصاد السياسى فتناوله موضوعا (وان لم يكن اسما) علم التاريخ خاصة بداية بمقدمة ابن خلدون .

(٤) تتشابه هذه الظاهرة المعاصرة مع نشاة المتصوفة وانتشارها ابتداء من القرن الثاني الهجرى اذ كان ازدهارها مرتبطا بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتمزق الذى صاحب انهيار الدولة الأموية ثم بعد ذلك تمزق الدولة العباسية . ارجع الى كتاب Gibb عن الرسالة المحمدية ، الفصل الثامن والى كتاب Nicholson السابق . الفصل الثامن ايضا فى معالجة موجزة عن المتصوفة .

(٥) ينسب البعض هذا القول المأثور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول : « اختلاف امتى رحمة » أنظر كتاب Nichoison السابق ص ٤٦٥ بناء على ذلك تعددت مذاهب السنة الا أنه انقرض الكثير منها على مر العصور حتى تبقى اربعة فقط وهى الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وانعكس تسامح المسلمين قديما فى اختلافاتهم الفقهية على المعمار الاسلامى الى الحد الذى جعلهم يستحدثون فى القاهرة جوامع تم تشييدها على قاعدة تتكون من خطين متقاطعين تعامديا كل واحد من هذه المذاهب الاربعة جناحا يقوم على احد أضلاع القاعدة الأربعة داخل نفس الجامع . وأبدع هذه المساجد معمارا مازال قائما فى القاهرة وهو مسجد السلطان حسن » أنظر الى كتاب Albribgeعن القاهرة ص ١١٨ ـ ١١٩ . سنعود الى اصل البيعة فى الفصل السابع .

(٦) أعاد الأهرام الاقتصادى طبع هذا المقال فى العدد رقم ١٠٥٨ . الصادر فى ١٩٨٩/٤/٢٤ . ص ٣٨ ـ ٤٠ .

(٧) لاحظ أن الكاتب لم يذكر لنا البلاد التى خربت اسعار الفائدة اقتصاداتها ولم يحدد لنا مشاهد هذا الخراب وما يعنيه بذلك ولا أعتقد انه بقادر على ذلك لانه لا توجد اى دراسة اقتصادية جادة متخصصة تسجل حالة واحدة من الخراب مرجوعه سعر الفائدة اذا قفينا تعريفا اقتصاديا له .

(٨) يخرج عن هدف هذا البحث دحض مزاعم الكاتب ولكنه من الواجب ان اشير بسرعة الى معادلة فيشر (المسماة هكذا اسنادا الى Irving Fishcr)والتى تربط طرديا سعر الفائدة الفعلى بانخفاض القيمة الشرائية للعملة (اى معدل التضخم فى الاسعار

عن طريق دراسات رياضية وقياسية لا حصر لها خلال الخمسة عشر سنة الماضية اما عن اقوال الاقتصادى الشهير كينز التى يزعمها الكاتب فلا اعرف من اين اتى بها . فعلى حد معلوماتي وكينز يخدل ضمن احد هذه المزاعم لم تصدر من كينز والله اعلم

(٩) انظر الى الايات . (٦ : ٢) ، (١٥ : ٢٦) ، (٥٥ : ١٤) وبالذات ايات الأعراف (٧ : ١٠ ـ ٢٧) التى تحتوى ايضا على قصة خلق ادم وطرده من الجنة .

(١٠) ورد مفهوم الصراط المستقيم « فى الفاتحة » (١ . ٦) مما يجعلها مفهوما جوهريا اذ يرددها المصلون عددا من المرات يوميا .. وورد فى ايات اخرى من القران مثل الايات · (٤ ١٧٥) ، (٦ . ١٥٣) ،(٤٢ : ٥٣ ـ٥٣)

(١١) انظر فى الانجليزية الى الدراسة التاريخية الممتازة عن تاريخ الرسالة الاسلامية التى بناها على القران والسيرة المستشرق البريطانى **Watt** فى كتابيه : محمد فى مكة ومحمد فى المدينة .

(١٢) تنحدر كلمة ناموس من اللغة الارامية وتتاصل من الاغريقية (**nomos**)اما كلمة « السنة » فهى كلمة اصيلة فى العربية .

(١٣) على سبيل المثال انظر الايات : (٢ : ٣٠ ـ ١١٤ ـ ١٢٠ ـ ١٤٠ ـ ١٤٥) ، (٣ : ٦١) ، (٥ ، ٧٦ ، ١٠٤) . (١٧ : ٨٥ ، ١٠٧) ، (٣١ : ٢٠) . (٥٧ : ١٧) .. إلخ .

(١٤) مثلا الايات : (٥ : ٥٠ ، ١٠٤) ، (٧ : ١٩٩) ، (٢٥ : ٦) ، (٢٨ : ٥٥) ، (٣٩ : ٦٤) الخ

(١٥) مثلا فى الايات . (٤ : ١٧٠ ـ ١٧١) . (٥ : ٧٧) ، (٣٩ : ٢ ، ٤١) ، (٥٧ : ١٦) . الخ .

(١٦) اى أن سعى الانسان الى طلب العلم لمعرفة نواميس الله وسننه على الأرض وفى الكون هو سعى دائم دوام حياة الانسان والانسانية .

(١٧) وفى نفس المعنى يقول الرسول ايضا ما معناه « ان حبر العالم اكثر قدسية من دم الشهيد » ويقول « ان مجهود الدارس ليصبح عالما ومجهود العالم فى نشر علمه من الجهاد الأكبر » كما يقول : « ساعة من الدرس والتامل فى خلق الله افضل عنده من سنة من العبادة » ويقول « من ينشر العلم كمن ينشر الصدقات » ويقول : « اطلبوا العلم ولو فى الصين » . لاحظ ان اغلب هذه الأحاديث ليس دقيقا حرفيا اذ انها مترجمة من مصادر انجليزية (بواسطة الكاتب) وهى كتابى الاستاذين . **Narer** ص ١٣ و تجاهل هذا الشطب **Gibb**ص ٢٦ .

(١٨) يشارك فى وجهة النظر هذه كثير من المستشرقين على اختلاف عقائدهم ومشاربهم مثل المستشرق الفرنسى **Robinson** فى كتابه عن « الاسلام والراسمالية » الذى يدحض فيه أطروحة **Max Weber** عن عداء التعاليم الاسلامية لروح التقدم الاقتصادى والاجتماعى فيستنتج فى الفصل الرابع تميز القران فى عقلانية منهجة مقارنة بالعهد القديم والعهد الجديد . ولكن هذا لم يمنع المسلمين من ان ينسبوا الى الرسول كثيرا من الاعمال الخارقة ولكن اساس جل هذه الخوارق ضعيفا واهيا فى القران .

(١٩) فى الحقيقة ، من المتفق عليه أن أول الوحى كان الايات الخمس الاولى من سورة العلق . اما بقية الايات فنزلت بعد فترة انقطاع الوحى التى دامت عدة شهور ونزلت بعد هذه الفترة مباشرة سورة القلم . والحكمة فى اضافة الايات الاخرى الى العلق انها تعبر عن عقبات انتشار الدعوة التى ترجع الى طبيعة الانسان . انظر مثلا الى ترجمة وتفسير القران لعبد الله يوسف على . ص . ١٧٦ .

(٢٠) انظر ايضا الى ايات سور النحل والروم والجاثية على سبيل المثال .
(٢١) لاحظ ان « الاء ربك » هي نعمه ، وان « الرحمن » اسم السوزة هو ايضا اسم الله الذى يتفرد لبلاغته المطلقة عن « الرحيم » مثلا .
(٢٢) يتكرر تعبير « اولى الالباب » في القران فمثلا في اية . (٣ · ٧) .
(٢٣) انظر مثلا الى الايات : (٦ · ٥٧) . (٤٠ · ٢٨) (٩٨ : ـ ٤)
(٢٤) انظر ايضا للايات : (١٠ : ٣٨) . (٢٨ : ٤٩) . (٥٢ : ٣٤) على سبيل المثال .
(٢٥) انظر مثلا للآيات (٣١ · ٣٠) . (٨٦ : ٥) (٨٠ : ٢٤) . (٨٨ : ١٧ ـ ٢٠) .
(٧ : ١٨٥) . (١٢ : ١٠٦) . (٤٠ : ٨٣) ..... الخ
(٢٦) انظر مثلا للايات : (٤٧ : ٢٣) . (٢ · ٢١٩) (٣ : ١٩١) . (٦ : ٥٠) .
(٣٠ : ٢٧) ..... الخ
(٢٧) انظر كتاب Robinson عن « الاسلام والراسمالية » . ص ٧٩ . واية · (٢ : ٤٤) مثلا .
(٢٨) انظر مثلا للايات : (٢ · ٧٣ ـ ٧٦) . (٥ : ٥٨ ـ ١٠٣) . (١٠ : ٤٢) . (٢٢ : ٤٦) . (٥٩ · ١٤) .... الخ
(٢٩) سنبحث قضية او مسألة قدرة الانسان على الاختيار الحر في الفصل السادس من البحث .
(٣٠) عن دور الاسلام الحرج في بعث النهضة الاوروبية ارجع الى كتاب Sarton الشهير عن : « مقدمة لتاريخ العلم » . والى تلخيص Durant المجلد الرابع من تاريخه الضخم للحضارة : « قصة الحضارة » . الفصل الثاني عشر والثالث عشر . هناك عدة اعمال مهمة عن الموضوع يذكرها Rodinson في كتابه « الاسلام والراسمالية » في الهامش رقم (٦٩) . ص ٢٧٤ .
(٣١) النص من « نوادر البخلاء للجاحظ » الصادر عن المركز العربي الحديث ص ٩٩
(٣٢) انظر الى اهمية نقيصة حب المال و« استغناء » الأغنياء في الامراض الاجتماعية ومقاومة قريش للدعوة في كتاب WALL عن « محمد نبي ورجل دولة » . الفصل الثاني
(٣٣) على سبيل المثال : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » . « يوم لا ينفع مال ولا بنون » . « ان ترن انا اقل منك مالا وولدا » . « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس » . انظر كتاب فتحي رضوان عن « الاسلام والمسلمون » . ص ١٢٧ ـ ١٢٨ . الذى يعلل اسبقية المال في الورود بما . جبل عليه الانسان من حرص شديد على المال وحبه له ... فضلا عن ان المرحلة الاولى من جهاد المسلمين كان قوامهم وعدتهم المال » .
(٣٤) يروى م . ف . وجدى في « المصحف المفسر » . ص ٥٥٣ ، بان نساء رسول الله « اخترن كلهن البقاء مع رسوله واقلعن عن طلبهن » ولكن هناك اختلافا في ادبيات السيرة في هذه النقطة وفي دوافع نساء الرسول انذاك . انظر الى Watt في كتابه « محمد في المدينة » ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ، حيث يلخص ما ورد عن الأمر في سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد .
(٣٥) من هنا كان تسمية سورة الجمعة وردت القصة في المصحف المفسر ص ٧٤٢ ، لمحمد فريد وجدى .
(٣٦) انظر الى م . ف . وجدى في « المصحف المفسر » ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ وإلى Watt في « محمد في المدينة » ص ٧٣ ـ ٧٦ و ٢٣١ ـ ٢٣٢ الذى يلخص ما ورد في السيرة ، وكذلك كتاب Rodinson عن « محمد » ، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ، حيث يلخص ما ورد في السيرة ايضا عن احداث الجعرانة .
(٣٧) انظر كتاب Nicholson عن « تاريخ العرب الادبى » ص ١٨٣ .

(٣٨) انظر كتاب عبد الرحمن الشرقاوى عن « الفاروق عمر بن الخطاب » ص ١٥٢ ـ ١٥٧ ، والى كتاب ديورانت السابق ذكره ، ص ٢٢٧ الفصل الثانى .
(٣٩) انظر الى « كتاب البخلاء » للجاحظ تحقيق فان فلوتن . وعن مصادر الجاحظ الى ص ٣ من المقدمة .
(٤٠) المصدر الاصلى هو كتاب « احياء علوم الدين » للغزالى . ولكن المصدر المباشر هو كتاب Rodinsonعن « الاسلام والراسمالية » ص ١١٢ .
(٤١) انظر الى مقال Heffening عن « التجارة » فى الموسوعة الاسلامية الذى يعلق على كتاب الدمشقى .
(٤٢) من « مقدمة ابن خلدون » الصادر عن دار الكتب العلمية
(٤٣) الا ان المتصوفة ابتدعوا وادخلوا الى الاسلام نوعا من الرهبنة والتنسك حينما انتشرت الطرق الصوفية فى العالم الاسلامى بدراويشها الذين اقاموا فيما يشبه الاديرة من خانكات انظر كتاب « جب » عن « المحمدية » الفصلين الثامن والتاسع . وايضا كتاب Nicholsonعن « التاريخ الادبى للعرب » الفصل الثامن .
(٤٤) وحتى الرسول عليه الصلاة والسلام لم يعفه الله من النقد اذ يقول تعالى · يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضاة ازواجك والله غفور رحيم » (٦٦ : ١)
(٤٥) وفى نفس المعنى يقول الرسول : ما معناه « التاجر الذى اخلص فى امانته وصدقه سيكون مع الانبياء والعادلين والشهداء » يوم القيامة ، كما يقول : « ان التجار هم رسل هذه الدنيا ومبعوثو الله الصادقين على الارض « لاحظ ان هذه الاحاديث مترجمة عن الانجليزية من كتاب Rodinson عن « الاسلام والراسمالية » . ص ١٦ ـ ١٧ .
(٤٦) يقول هذا الحديث الشريف ما معناه : « الدرهم الحلال » من التجارة يساوى اكثر من عشرة دراهم مكتسبة من نشاط اخر « هذا الحديث مترجم عن نفس المصدر السابق
(٤٧) الحديث الاخير من كتاب فتحى رضوان عن « الاسلام والمسلمون » اما الاحاديث السابقة عليه فقد قمت بترجمتها عن الانجليزية من المصدر السابق ومن مقال الاستاذ Pryorص ٢٠٠ .
(٤٨) بدأ الرسول « تاليف قلوب « زعماء قبائل الاعراب البدو بالمال قبل غزوة حنين بينما كان نصيب كل مجاهد فى حنين اربعة من الجمال كان نصيب ابو سفيان ١٠٠ ـ ٢٠٠ جمل ويزيد بن ابى سفيان ١٠٠ جمل ومعاوية بن ابى سفيان ١٠٠ جمل وانخفض النصيب الى ٥٠ جملا لمن كان شانهم اقل من المؤلفة قلوبهم عند الجعرانة انظر كتاب Watt عن « محمد فى المدينة » ص ٧٣ ـ ٧٦ و٢٣١ ـ ٢٣٢ و٣٤٨ ـ ٣٥٣ تلخيصا لما ورد فى السيرة وكتابه ؛ محمد نبى ورجل دولة » ص ٢٠٧ ـ ٢١٠
(٤٩) انظر كتاب Watt السابق . « محمد فى المدينة » ص ٤٦ ـ ٥٢ ، وكتابه « محمد : نبى ورجل دولة » ، ص ١٨٩ . تلخيصا لما ورد فى السيرة عن وقائع خيبر .
(٥٠) انظر « المصحف المفسر » لمحمد فريد وجدى ص ٢٥٤ .
(٥١) وفى نفس المعنى ورد فى الانفال : « ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم » وفى النساء · « فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة » . لاحظ توارد لفظ « المال » قبل « النفس » كما ذكرنا سابقا . ارجع الى كتاب فتحى رضوان عن « الاسلام والمسلمون » . ص ١٢٧ ـ ١٢٨
(٥٢) احاديث الرسول ترجمها الكاتب عن الانجليزية من بحث الاستاذ Pryor سابق الذكر ص ٢٠٠ ، ٢٠٨ .

(٥٣) فيقول تعالى مثلا : « كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض . . . » ياايها الناس كلوا مما فى الأرض حالالا طيبا » . « يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » . « كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون » .. والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون »
نقلت هذه الايات عن فتحى رضوان فى كتابه السابق الذكر . ص ١٢٩
(٥٤) ترجمت هذا الحديث عن نفس المصدر فى الهامش قبل السابق .
(٥٥) وربك فى سور النساء والمائدة والمجادلة . فعلى سبيل المثال يقول تعالى فى سورة النساء : « ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة مؤمنة » (٤ : ٩٢) ارجع الى فتحى رضوان عن « الاسلام والمسلمون » . ص ٣٢٤ .
(٥٦) انظر كتاب Gibbعن « المحمدية » ص ٦٨ . فى الفصل السادس ملخص جيد لادبيات الشريعة والفقة الاسلامى .
(٥٧) عن التشريعات والاصلاحات الاجتماعية المختلفة وخاصة اصلاحات الاسرة والارث ارجع الى كتاب Watt عن « محمد فى المدينة » . الفصل الثامن وخاصة ص ٢٧٢ - ٢٩٣ و٣٧٣ حيث يبنى بحثه الدقيق على القران والسيرة والحديث . انظر ايضا كتابه « محمد : نبى ورجل دولة » ص ٤٢ - ٥٥ و١٥١ - ١٥٩ . ومثال الرسول مع زوجاته واسرته ولا سيما الوقائع التى انتهت « باية الاختيار » سابقة الذكر اكدت تكريس فردية المراة المؤمنة فى استقلاليتها وحريتها ومسئوليتها الشخصية امام ربها .
(٥٨) لاحظ ان لفظ الايمان مشتق من « آمن » اى « صدق » فالانسان يؤمن بالله لانه يصدقه فيشعر بالأمن والامان نظرا لعدله وبالتالى يتحرر من الخوف والقلق . لاحظ ان « الامن » و « الايمان » ينحدران من نفس المصدر لغويا اى من « امن » انظر مختار الصحاح » ص ٢٦ - ٢٧ . ارجع الى كتاب Rodinson (عن علاقة الدين بالفردية) اى كتابه عن « محمد » . ص ١٢٤ - ١٢٦ .
(٥٩) اعتمدت المدرسة « الجبرية » على ايات القران التى تنص على ان الله يوجه الانسان الى الخير والشر وان قلوب واذان وبصيرة الضالين قد أغلقها الله امام الحق بنفسه وارادته وانهم بالتالى لا محالة يسيرون الى الهلاك مهما فعلوا على سبيل المثال الايات التالية : (١٨ : ١٧) . (١٦ : ٣٧) . (٤٥ : ٢٣) . (٤ : ٨٨) . (٧٤ : ٣١) .
يجب الاشارة الى ان هذا الاعتقاد الجبرى لا تنعدم معقوليته علميا بالنظر الى الدراسات الجارية فى علم الوراثيات الانسانية لاكتشاف البنية الكيميائية لنواة الخلايا الانسانية اى اكتشاف بنية ما يسمى Genomeوهو « مجموعة التعليمات التى تكون كينونة الكائن الانسانى وهى « مكتوبة » فى النواة كيميائيا بواسطة حامض خاص DNA ارجع الى تقرير صحافى بعنوان « اصطياد الجينات . بقلم Jaroff فى مجلة Time .
(٦٠) نشات مدرسة « المعتزلة » القدرية بين تلاميذ الامام الحسن البصرى وعلى راسهم الشيخ واصل ابن عطا حينما « اعتزل » عن المناقشة الفقهية التى دارت بين اعضاء « الحلقة » فى المسجد ليكون « حلقة » فرعية له ولكن المعتزلة اطلقت على نفسها « اهل التوحيد والعدل » اذ ان رأيهم بان كون الانسان مخيرا ينفى صفة الظلم عن الخالق ويتسق مع عدالته المطلقة . فهو يعاقب فقط من ضل وعصى بمحض ارادته واختياره الحر . وشبت هذه المدرسة لتشق طريقا وسطا بين « الخوارج » فى غلوائهم وتطرفهم وبين « المرجعيون » . فرفضوا اصرار الخوارج على جعل الاعمال المعيار الوحيد للايمان ولكنهم اكدوا « مسئولية » المؤمن على خلاف المرجعيين الذين اصروا على كفاية الايمان بالباطن بصرف النظر عن الظاهر من الأعمال . وادى ذلك الموقف

بالمعتزلة الى ابراز ايات القران التى تؤكد وتجزم بمسئولية الانسان وقدرته على الاختيار على خلاف المرجعيين اذ كانوا يلوذون بالمذهب الجبرى فى تبرير اعمالهم للاعمال . انظر الى كتاب Nicholson السابق . ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤ و ٣٦٧ ـ ٣٦٩ . الى كتاب Gibbعن « المحمدية » ص ٧٦ ـ ٨٠

(٦١) عن الأشعرى وتوليفته انظر كتاب Nicholson السابق ص ٣٧٥ ـ ٣٨٣ . وكتاب Gibb السابق ص ٧٩ ـ ٨٠ .

(٦٢) يصل الى نفس الاستنتاج Robinson فى كتابه « الاسلام والراسمالية » ص ٩٤ ـ ٩٥ فى مقارنته بين القران والعهدين الجديد والقديم .

(٦٣) اقتباسا من حديث الرسول « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » وهو الحديث رقم ٢٠٠٩ بالمجلد الثالث لصحيح البخارى طبقا للاستاذ Nazeer .

(٦٤) لم يكن من الصعب على دارسى القران استشفاف هذا النوع من الرشادة الاقتصادية فى الحكمة القرانية فكما ذكرنا سابقا فان المستشرق الفرنسى RODINSONوصل لنتيجة مشابهة فى كتابه عن الراسمالية والاسلام وهو يشير فى ص ٨١ ايضا الى دراسة المستشرق الاوروبى Torrey فى القرن التاسع عشر عن اللغة التجارية فى القران التى استخلص منها ان منطق الحساب الاقتصادى الرشيد وصل الى الذروة فى القران .

(٦٥) « البيعة او المبايعة » هى العهد او الميثاق الذى ينبنى على التراضى المتبادل (من التجارة والبيع والشراء) » من هنا كانت البيعات التاريخية التى نالها الرسول من المؤمنين فى صراعهم ضد الكفار وهى : « بيعة النساء التى تمت اثناء موسم الحج فى العام الثانى قبل الهجرة بين الرسول واثنى عشر نقيبا من المدينة وبها عاهدوا الرسول على اطاعته وتسمى ايضا « بيعة العقبة الاولى » . و « بيعة الحرب » وتسمى ايضا « بيعة العقبة الثانية (اذ تمت مثل الاولى عند العقبة) فى موسم الحج فى العام السابق على الهجرة ، وتمت بين الرسول وبين ٧٥ من اهل المدينة (منهم امراتان) عاهدوا بمقتضاها الرسول على حمايته والحرب دفاعا عنه اذا اقتضى الامر .. و « بيعة الرضوان » وتمت بين الرسول والمجاهدين فى العام السادس للهجرة قبل صلح الحديبية ، وبمقتضاها عاهدوا الرسول (تحت الشجرة وهو اسم اخر للبيعة) على الحرب معه حتى الموت لينال المسلمون حق الحج من كفار مكة .. و « البيعة العربية » هى مبايعة أعراب البدو للرسول قبل الفتح . أما « بيعة الهجرة » فهى مبايعة اعراب البدو للرسول وانتقالهم للمعيشة مع المسلمين فى المدينة « كمهاجرين » بنفس الحقوق والواجبات تجاه الامة الاسلامية « كمهاجرين من مكة مع الرسول . انظر كتاب عن محمد فى مكة ص ١٤٤ ـ ١٤٩ وكتابه محمد Watt فى المدينة ص ٥٠ ، ٨٦ ، ٢٣٠ ، ٢٤٢ . وعقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم اصبحت « البيعة » احد اركان الخلافة الاساسية كنظام حكم ديموقراطى (بالاضافة الى الشورى) اذ بمقتضى البيعة يتابع الحاكم والمحكوم المواثيق والثقة كاساس لحكومة الاسلام . فبالبيعة فقط (اى الانتخاب فى اللغة المعاصرة) يتم اختيار خليفة الرسول ..

(٦٦) ربما كان اصرار القران على الذهاب الى المدى فى الحساب المتناهى فى الدقة هو ما الهم وألهب مشاعل العقل الاسلامى لدراسة الرياضيات والابداع فيها .

(٦٧) ارجع الى الفصل الخامس من البحث .

(٦٨) من المدهش أن نظرية الاختيار الاقتصادى الحديثة ، وهى تعتمد على عدد محدود من البديهيات المجردة عن السلوك الاقتصادى الرشيد والطبيعة الانسانية ، تصل هذه النظرية الى نتيجة مشابهة عن امثلية الاختيارات الوسيطة انظر مثلا كتاب NICHOLSON عن النظرية الاقتصادية خاصة ص ٨٦ ـ ٨٧ .
(٦٩) الحديث الاخير من مختار الصحاح ص ١٢٨ والحديث السابق عليه ترجمته عن الانجليز من بحث للاستاذ MALIK ص ٨ .
(٧٠) ترجم هذا الحديث عن الانجليزية من المصدر السابق ص ٧ .
(٧١) نظرا لجهل الانسان بما يجلبه المستقبل فانه يضطر الى عقد اختياراته دون علم كاف فى ظروف يعوزها اليقين . وعقد اختيارات اقتصادية فى مثل هذه الظروف تعالجه النظرية الاقتصادية الحديثة فى اطار اقتصاديات المعلومات والتوقعات انظر اى كتاب جامعى متقدم فى النظرية الاقتصادية مثل الفصل التاسع من Nicholson السابق ذكره او الجزء السادس من كتاب Layacdaad Waltecs من المناسب ان نذكر هنا ان الأمن والامان من افضل الطيبات التى يتفضل بها الله على الانسان اذا يقول مثلا . « لا يلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت اطعمهم من جوع وامنهم من خوف » (١٠٦ ـ ١ ـ ٤) فالامن والامان يرتبطان ايضا بالايمان بالله والمؤمن هو من يؤمن بالله ويأمن له ، كل هذه الكلمات بالطبع تنحدر من مصدر واحد وهو « امن » كما يتبين من مختار الصحاح ص ٢٦ .

(٧٢) تسمى « الفاتحة » ايضا أم القران لتعبيرها عن روحه وفحواه ، وتسمى ايضا سبعا من المثانى « فى التنزيل اذ يقول تعالى « ولقد أتيناك سبعا من المثانى والقران العظيم » (١٥ : ٨٧) عنها طبقا للحديث ، وذلك نظر لأن اياتها السبع يتواتر استخدامها فى فريضة الصلاة من البداية . من المرجح فى السنة نزول الفاتحة قبل العام الرابع للوحى (أى العاشر قبل الهجرة) حينما بدا الرسول سنه صلاة الجماعة فى « بيت الارقم » طبقا لسيرة ابن هشام انظر الى ترجمة وتفسير القران للاستاذ PICKTHAL ، ص ١ ، ٢٦٠ ، والى كتاب الاستاذ WATT، محمد : نبى ورجل دولة » ص ٥٦ ـ ٦٠ عن بيت الارقم واضطهاد قريش للرسول والصحابة .

(٧٣) فى الواقع يقرا المسلم الفاتحة كلما شرع فى أى تعامل ذى اهمية تعاقدية ولاسيما فى التعاقدات التجارية :
(٧٤) وفى نفس المعنى يقول تعالى : « فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمه منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما . (٤ : ٧٥) .
(٧٥) ، (٧٦) من المفهوم أن يكون هناك راى باستحاله عقد هذا التمييز قطعيا . ولكنه فى اعتقادى من الحكمة قبول هذا التمييز بصفة عامة مع توخى الحذر والحيطة عند تطبيقه . لاحظ أن هذا التمييز يتشابه ـ ولكنه اسلاميا لا يتطابق ـ مع التمييز فى العلم الغربى الحديث بينالايجابى (POSITIVC) والوجوبى (NORMA-TIVE) ، سنعود الى هذا التمييز فيما بعد فى هذا الفصل .
(٧٧) يتبين هذا من النظرة الثاقبة (لتطور الفكر والنظرية الاقتصادية نحو علم الاقتصاد القياسى الحديث) التى قدمها الاستاذ المرموق FRISCLT فى محاضرته

الاولى بمناسبة قبوله جائزة نوبل فى الاقتصاد) عن « من النظرية البطوبية الى التطبيقات العملية : الاقتصاد القياسى » (اى ECONOMCTRICS)
(٧٨) هناك كتابات غربية لاحصر لها تعالج التاريخ الاوروبى خلال هذه الحقبة . ولكن العمل الوحيد الى جانب - TOYNBCC طبقا لمعلوماتى - الذى يعالج هذا التاريخ الاوروبى من منظور الفكر ايضا وعلى صعيد شامل هو العمل « شبه - الخلدونى » للاستاذ DURANT عن « قصة الحضارة » (ويشمل احد عشر مجلدا) ولاسيما المجد الرابع عن « عصر الايمان » والمجلد الخامس عن « عصر النهضة » ، والمجلد السادس عن « عصر الاصلاح » . إرجع للفصول الملائمة فى هذه المجلدات ولمصادر اخرى تتعلق بالتاثير الاسلامى الخلاق فى الحاشية رقم (٣٠) السابقة . اما عن تاريخ الفكر الاقتصادى الاوروبى خلال هذه الحقبة . فارجع الى اى من الكتب الجامعية المعروفة ولاسيما كتاب , ERIC ROLL ص ١١ - ٨٥ وكتاب SCHUMPCTCR : ص ٥١ - ١٤٢ وكتاب RIMA : ص ١ - ٢٢ .
(٧٩ ، ٨٠) عن ادم سميث ارجع مثلا لكتاب HCILBRONCR الشيق (عن فلاسفة الاقتصاد) فى الفصل الثالث ، وايضا الى : ROLL فى الفصل الرابع ، والى كتاب : RIMA الفصل الرابع . وعن ملخص للتاريخ الاقتصادى الاوروبى من منظور الفكر الاقتصادى ، إرجع ايضا للفصل الثانى من HCILBRONCR والفصل ١ - ٤ من كتاب ROLL بدأت حرب الاستقلال الامريكية فى ١٧٧٥ م واستمرت الى ١٧٨٣ م .

(٨١) أشرنا الى بعض هذه المساهمات الزاهية فى الفصل الرابع من هذا البحث
(٨٢) فعلى سبيل المثال لاذكر اطلاقا لذلك فى الكتب الجامعية الشهيرة التى سبق ذكرها فى الحاشيات السابقة وهى كتب . RIMA . HCILBRONCR . ROLL . SCHUMPCTCR اما عن المام المستشرقين بهذه المساهمات فيتبين من كتابات الاستاذ RODINSON ولا سيما كتابه عن « الاسلام والراسمالية » فى الفصل الثالث « ولكن المستشرقين عموما قلما تخصصوا فى الاقتصاد وبالتبعية لا يتيسر لهم احقاق مساهمات ابن خلدون النظرية حقها ولاسيما فى الفصول الرابع والخامس والسادس من الكتاب الاول (اى من المقدمة) ، انظر طبعة دار الكتب العلمية السابقة الذكر .
(٨٣) لقد بدأت بشائر هذه الدراسات بالفعل (رغم ندرتها الشديدة) فيما يختص بمساهمات ابن خلدون . فضمن ٣٧٠ دراسة عن ابن خلدون - وردت فى اخر الترجمه الانجليزية للمقدمة (ROSCNTHAL 1955) - وجدت الاستاذة ANDIC اربع دراسات فقط عن اقتصاديات ابن خلدون . ويجب هنا التنوية بان كاتبى الدراسات الاقتصادية عن المقدمة يكادان ان ينحصران فيمن يجوز لنا تسميتهم « اعراب » الامة فى المهجر الغربى امثال ISSAWI , BOULAKIA , HADDAD . وفى حدود معلوماتى غير الكاملة تنعدم هذه الدراسات فى العربية ، ولكن كثيرا من الكتاب يزايدون تحت مظلة« الاقتصاد الاسلامى » ويتغالون فى مزاعمهم الى حد الادعاء« ان جهد الاقتصاديين الاوروبيين لم يتجاوز حدود الترجمة من الدراسات العربية الى لغتهم إعتمادا على جهل مواطنيهم للغة العربية وكذا عدم انتباه المسلمين لتتبع هذه الاقتباسات » هذا الادعاء ورد فى عرض الاستاذ إيهاب الدسوقى (عن لسان د . ابراهيم الطحاوى) لكتاب « الاقتصاد والمال فى التشريع ... »

(٨٤) إرجع الى « مختار الصحاح » ، ص ٥٣٦
(٨٥) يعتمد علم الاقتصاد الحديث على الرياضيات المتقدمة عموما ، ويعتمد بصفة خاصة في الوصول لامثليات الحلول في الاختيار على رياضيات التحليل الكلاسيكية (CLASSICAL PROGRAMMING) ورياضيات البرمجة عموما -PRAG) (RAMMING وبصفة عامة يعتمد لاسيما في المسائل الديناميكية - على رياضيات الضبط الامثل ، (OPTIMAL CONTROL) إرجع على سبيل المثال الى TAKAYAMA . CHIANG Œ INTRILIGTOR
(٨٦) من هنا كان تقديس الاقتصاديين نظريا لنموذج ومؤسسات ، السوق التنافسية الكاملة ، حيث تنعدم القوى الاحتكارية وتعبيراتها السياسية ويمكن تحقيق الرفاهية الاقتصادية العظمى المسماة على نحو ، باريتو الامثل ، (PARCTO OPTIMAL) إرجع مثلا الى (NICHOLSON (1989 السابق ذكره عن هذه الامثليات والسوق الكاملة خاصة في الجزء الخامس من الكتاب .
(٨٧) . (٨٨) يكاد يتفق الاقتصاديون المعاصرون على هذا الاطار في مختلف فروع علم الاقتصاد النظرية والتطبيقة . إذ اخذت ، اطروحة الدورة الحياتيه ، تشيع تدريجيا بعد ظهور البحث الاول (MODIGLIANI AND BRUMBCRG (1954 لتعليل ورصد سلوك الاستهلاك او الادخار القومي الامريكي عقب الحرب العالمية الثانية ارجع ايضا لعرض ادبيات الاطروحه في عيد ميلادها العشرين لمستحدثها في (MODIGLIANI (1975 وإلى المعالجة المتقدمة مدرسيا من وجهة نظر الاستهلاك القومي في (BRAN son (1989 الفصل الثاني عشر .
(٨٩) عن « الوجودية » الرياضية لدالة النفع وخصائصها الامبريقية العامة في علاقتها بمسلمات AXIOMS السلوك الاقتصادى وعن قياسات المنفعة ، منسوبا ، ORDINALLY إرجع مثلا الى المعالجات الجامعية في كتاب - NICHOL SON (1989) ص ٧٤ - ١٠١ وكتاب HCNDCRSON . AND QUANDT ص ٥ - ١٣ وكتاب LAYARD AND WALTCRS : ص ١٢٣ - ١٣٢ وفي كتاب CHIANG ص ٣٨٧ - ٣٩٩
(٩٠) لاتعالج الكتب المدرسية الجامعية (وحتى المتقدم منها) هذه النقطة صراحة ولكنها تفترض ضمنيا - في اعتقادى - ثبات الوجدان الاخلاقي ضمن افتراضها ثبات « الذوق (TASTC) كفرض منهجي تستخدمة لعزل مالا يمكن قياسه امبريقيا THE CETERIS PARI BUS ASSAMPTION
(٩١) فليتذكر القارى ء ان بلدان العالم الاسلامي (والعربي) شرقية كانت ام غربية لم تعرف « جوازات » السفر واسلاك الحدود الشائكة حتى القرن التاسع عشر حينما خضعت للاستعمار الاوروبي فادخلها بين هذه البلدان مع نزعاته القومية المتعصبة وقد عرف جيدا المسلمون « الهجرة » والأسفار الطويلة في سبيل الفكرة وطلبا للعلم قفوا واقتداء لرسول الله ولصحابته عندما « هاجروا » الى الحبشة والى يثرب . وهكذا ارسى الرسول الحكيم سنة « السياحة » والسفر « طلبا للعلم » فتقفاها علماء المسلمين في مختلف العصور وكان اخر المشاهير منهم الشيخ جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده (المصرى) وعميد الادب العربي الدكتور طه حسين .

(٩٢) لقد اشرنا الى هذا التمييز المفيد سابقا كما تعرضنا ـ فى تفصيل ـ للمنهج العلمى القرانى (بالفصل الثالث) عن هذا التمييز فى علم الاقتصاد الغربى ارجع الى FRICDMAN ' HUTCHINSON ويستعير الاقتصاديون الغربيون هذا التمييز من علوم الطبيعيات . إرجع ـ فى منهج هذه العلوم ـ الى كتاب (POPCR (1939 الذى صدر فى اللغة الانجليزية فى (POPCR (1959 ترجمة عن الاصل الالمانى ومن الجدير بالذكر هنا ان فقهاء الشريعة الاسلامية يتفقون منذ العصر الذهبى للفقة فى القرن الثانى الهجرى ـ اى منذ عصر مؤسسى المذاهب الشرعية . الامام ابو حنيفة ابن ثابت والامام مالك ابن انس والامام محمد ابن إدريس الشافعى ـ أقول يتفقون على تقسيم الاعمال الانسانية الى خمس طبقات تتدرج من « الفرائض » « الى » المحرمات » مرورا بالمباح » من ثم فالمباح وهو الاساس والقاعدة (انطلاقا من قاعدة الحرية فى الشريعة الاسلامية ، كما ذكرنا فى الفصل السادس سابقا) لا يدخل فى « الكينونات الوجوبية » شرعيا فى ملخصات عن الشريعة الاسلامية ارجع الى كتاب الاستاذ GIBB عن « المحمدية » .. الفصل السادس والى بحث الاستاذ HITTI عن الامام الشافعى كمؤسس لعلم الشريعة والى مقال الاستاذ AL - NOWAIHI عن مشكلات التحديث فى الاسلام »

(٩٣) يجب المسارعة هنا الى القول بان الهدف من استخدام او ادخال هذا المفهوم (اى معامل الايمان) هو لمجرد التحليل الاقتصادى وليس لهدف التسلط البغيض باسم الدين فالقاعدة فى الشرع هى لاكراه فى الدين كما بينت سابقا فى الفصل السادس . هذه مسالة حساسة جدا وذات اهمية تاريخية منذ فجر الاسلام . فقد دار منذئذ جدل عقائدى وصراعات فكرية وسياسية عاصفة على مر العصور الاسلامية ابتداء من الجدل الذى دارت رحاه بين الخوارج والمرجعين عن دور الدولة ومدى تدخلها لمحاسبة افراد الامة عن مدى ايمانهم وينبغى هنا توخى الدقة فى فهم الشرع فى هذا الخصوص ولاسيما ان مؤسسى المذاهب الشرعية السائدة كانوا صريحين منذ البداية فى كتاباتهم فى تبيان « ان علم الشريعة هو المعرفة للحقوق والواجبات التى يجوزبها للانسان تعيين سلوكه فى حياته الدنيا ليعد نفسه لحياته الاخرى » ومن هنا كان علم الشريعة عندهم ومازال مجرد « مناقشات عن واجبات المسلمين » لهدايتهم تاركين للمسلم الفرد امكانية الالتزام الحز المصدر المباشر للمقتطف السابق هو كتاب الاستاذ GIBB عن المحمدية ص ٦٩ ولكنه لم يعين مصدره بالتحديد .

(٩٤) ارجع مثلا الى كتاب الاستاذ CHIANG عن هذه المسميات (CONTROL VARIABLES) فى سياق نظرية الامثليات الرياضية وخاصة بدءا من الجزء الرابع للكتاب .

(٩٥) الايمان بوجودية الحل هنا مشتق من الايمان بوجودية صراط الامثليات (المستقيم) وبالتبعية مشتق من الايمان بوجود الخالق العليم منزل القران .

(٩٦) تتسق هذه الوجودية الاستمرارية امبريقيا مع النسب التوزيعية التى اوردها حجة الاسلام الامام ابو حامد الغزالى عن درجة تفشى الاثرة والجشع بين المسلمين فى عصر (القرن الخامس الهجرى) ارجع الى الفصل الرابع

(٩٧) لا محل للاستخفاف او التهوين من هذا التحدى الكبير الذى يتطلب مجهودا هائلا وربما اجيالا من الاجتهاد الرياضى والتحليلى بداية من المعرفة الاقتصادية السائدة ومراجعتها اسلاميا ولا سيما مراجعة فرعها الخاص باقتصاديات الرفاهية

(٩٨) اشرنا الى مسالة العدالة الاقتصادية في القران ابتداء من الفصل الرابع ففي الفصل السادس رجعنا الى قول الله تعالى للامة بشان توزيع « ما افاء الله » من ثروة على نحو عادل بين اعضائها « كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » (٥٩ . ٧) واشرنا ايضا الى رجوع الصحابة ونقباء المهاجرين الى هذا النص في عهد الفاروق عمر بن الخطاب لحسم الصراع الناجم عن توزيع غنائم المسلمين من فتح بلدان الرافدين (في الفصل الرابع) كما ذكرنا في الفصل السادس كيف يمكن النظر الى نظامي الاسرة والارث الاسلاميين في كونهما ضمن الدعامات « الاقتصادية » اي الاجتماعية الاقتصادية ، للمسلم الفرد في تحرره الروحي من مختلف انواع العبودية والظلم بعد ان يكتسب هذه الحرية بتوحيد الله وعبادته دون سواه وذكرنا مرارا كيف ان القصد من فريضة الزكاة ومن الصدقة هو تطبيق سنة العدل التي لا تتبدل فبالعدل والزكاة تتزكى النفس الانسانية وتتطهر من جراثيم الظلم والطغيان الروحية وتجسيداتها المادية والاجتماعية

عن وجهة نظر المستشرقين الاوربية ارجع الى كتاب الاستاذ RODINSON عن الاسلام والراسمالية اذ يقدم من منظوره موجزا لكتابات وأراء عينة من الكتاب المسلمين والمستشرقين عن العدالة الاقتصادية والاجتماعية في النظرية وواقع التاريخ الاسلامي (ص ١٩ ـ ٢٧ ـ ٦٨ ـ ٧٥) وارجع ايضا الى كتابه عن محمد ولاسيما الفصلان السادس والسابع اذ يعالجان مؤسسات الدولة الاسلامية الوليدة عند بزوغ شمسها انظر ايضا الى دراسة KURAN التقييمية لاراء الاقتصاديين الاسلاميين .

(٩٩) عن نقائص النفس البشرية قرانيا وعن علاقاتها المتشابكة والمعقدة ديناميكيا بالمال وعما يمكن ان تتعرض له النفس من امراض روحية والمرامي والابعاد الاجتماعية الاقتصادية والسياسية لها ارجع الى ماذكرناه سابقا في الفصلين الثالث والرابع وايضا الى الحاشية .



المراجع العربية :

- حازم الببلاوى فى حقائق الاقتصاد المعاصر ومساله الربا الاهرام الاقتصادى عدد رقم ٩٦٤ الصادر فى ٦/ ٧/ ١٩٨٧ .
- صلاح الدين سلطان حقائق الاقتصاد المعاصر ومسألة الربا · تعليق . الاهرام الاقتصادى عدد رقم ٩٧٠ الصادر فى ١٧/ ٨/ ١٩٨٧ .
- سامى محمود نوادر البخلاء للجاحظ المركز العربى الحديث القاهرة .
- عبد الرحمن الشرقاوى الفاروق عمر بن الخطاب مركز الاهرام للترجمة والنشر مؤسسة الاهرام ١٩٨٧ .
- ابو بحر عثمان الجاحظ كتاب البخلاء تحقيق فان فولتن المركز العربى للبحث والنشر القاهرة ١٩٨٠ .
- عبد الرحمن ابن خلدون المقدمة الجزء الاول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧ .
- فتحى رضوان الاسلام والمسلمون دار الشروق القاهرة ١٩٨٢
- ايهاب الدسوقى عرض كتاب الاقتصاد والمال فى التشريع الاسلامى والنظم الوضعية تاليف فوزى عطوى الاهرام الاقتصادى العدد الصادر فى ٧/ ٨/ ١٩٨٩ ، ص ٨٧



المعاجم العربية :

• مختار الصحاح للشيخ الامام محمد بن ابى بكر بن عبد القادر الرازى طبعة دار المعارف القاهرة .
• قاموس الياس العصرى عربى انجليزى تأليف الياس أ . الياس وادوار أ . الياس ، توزيع دار الجيل بيروت ١٩٨٠ .
• القاموس العصرى انجليزى عربى : تأليف الياس أ . الياس وادوار أ . الياس ، الطبعة الخامسة عشرة المطبعة العصرية القاهرة ١٩٦٨ .
• المورد قاموس أنجليزى عربى تأليف منير البعلبكى دار العلم للملايين بيوت ١٩٨١ الطبعة الخامسة عشرة .



المصحف المفسر للأستاذ محمد فريد وجدى كتاب الشعب القاهرة
The Holy Qur'àn: Text , translation and Commentary, by Abdullah yusuf Ali, American International Printing Company, Washington, D.C., 1946.
The Glorious Qura'an: Text and Explanator Translation, by Mohammad M. Pickthall, Muslim Worls League, New york, 1977.
The Koran, Translated with Notes by N.J. Dawood, Penguin Books, 4 th Edition, 1974, Harmondsworth, Middlesex, England.
The Koran Interpretted, by A.J. Araberry, Oxford University press., London, 1964.

المراجع الانجليزية :

Weiss, Bernard G. (1984) «Language and Law: The Lingishic Premises of Islamic Lagal Science», in A.H. Green, Ed. (1984), PP. 15-21.

Gibb, H.A.R. (1963) Arabic Literature, 2nd Edition, Oxford University Press, London.

Gibb, H.A.R. (1962) «Khawatir fil-Adab al-Arabi», in H.A.R. Gibb. (1962). PP.
219-241 (in Arabic)

Gibb, H.A.R. (1962) Studies on the Civilization of Islam, Princeton University Press, Princeton, N.J.

Green, A.H. Editor (1984). In Quest of an Islamic Humanism, American University in Cairo Preas , Cairo

Nicholson, Reynold A. (1966) A Litrary History of the Arabs, Cambridge University Press, Cambridge.

Gibb , H.A.R. (1970) Mohammedanism: An Historical Survey, 2nd Edition, University Press, London.

Aldrige, James (1969) Cairo: Biography of a City , MacMillan, London.

Watt, W.Montgomery (1953) Muhammad At Mecca, Oxford University Press, London.

Watt, Montgomery (1956) Muhammad At Medina, Oxford University Press, London.

Watt, W.Montgomery (1961) Muhammad: Prophet and statesman, Oxford University Press, London.

Rodinson, Maxime (1978) Islam and Capitalism, University of Texas Press, Austin.

Rodinson, Maxime (1971) Mohammed , Penguin Books, Baltimore

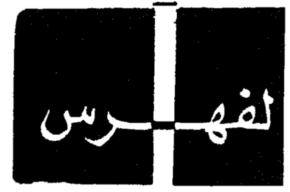
Durant, will (1950) The Strory of Civilization Vol. IV. The Age of Faith, Simon & Schuster, New York.

Sarton George (1943) Introduction to the History of Siemce, Baltimore.

Heffening, W. «Tidjara», Encyclopedia of Islam, 1St. Edition, Vol. IV, 1934, Leiden.

Pryor, Fredric L. (1985) «The Islamic Economic System», Jounral of Compartive Economics, Vol 9, PP. 197-223
Jaroff (1989) «The Gene Hunt», Time: The Weekly Magazine, Vol. 133, No. 12, March 20, 1989, PP. 54-61
Nazeer, M.M. (1981) The Islamic Economic System: A few Highlights, Pakistan Institute of Development Economics, Islamabad.
Bukhari (1977) Sahih, Dini Kutub Khana, Lahore (reprint)
Malik, U.A. (1988) «The Ethico-Economic Paradigm of Islam», Humanomics, Vol 4, No. 1,PP. 3-14.
Nicholson, W. (1989) Microeconomic Theory: Basic Principles and Extension, 4th Edition, Dryden Pres Chicago
Torrey, C.C. (1892) The Commerical-Theological Terms in the Koran (Strasbourg thesis), Leiden, Brill.
Layard, P.R.G. and Walters. A.A. (1978) Microeconomic Theory, Mc Graw-Hill, New York.
Frisch, Ragnar (1970) «From Utopian Theory to Practical Applications: The Case of Econometrics», Reprinted in the American Economic Review, Vol. 71, No. 6 (Dec. 1981) PP. 1-16.
Durant, Will (1953) The Story of Civilization, Vol V: The Renaissance, Simon and Schuster, New York.
Durant. Will (1957) The Story of Civilization, Vol: The Reformation, Simon and Schuster, New York.
Roll ,Eric (1973) A History of Economic Thought , 4th Edition, Faber and faber Ltd, London.
Schumpeter, J.A. (1954) History of Economic Analysis, Oxford University Press, New York.
Rima, I.H. (1986) Development of Economic Anslysis, 4th Edition, Orwin Hormewood, Illonois.
Heilbroner, R.L (1980) The Worldly Philosophers, 5th Edition , Simon and Schuster, New York.
Ibn Khaldûn The Muqaddimah:An Introduction to History, trans. by F.Rosenthal (1958), Three volumes, Princeton Univ. Press.
Andic , Suphan (1965) «A Fourteenth Century Sociology of Public Finance» , Public Finance, Vol. 20, PP. 22-44.
Issawi, C. (1950) An Arab Philosophy of History, London
Haddad, L.(1977) «A Fourteenth-Cuntury Theory of Economic Growth and Development», Kyklos, Vol. 30, PP. 195-213.
Boulakia, J.D.C. (1971)« Ibn-Khadun:A fourteenth Century Economist», Journal of Political Economy, Vol. 79,PP. 1105-1118

Chiang, A.C. (1984) Fundamental Methods of Mathematical Economics, 3rd Edition, Mc Graw-Hill, New York.
Interiligator, M.D. (1971) Mathematical Optimization and Economic Theory , Prentice-Hall, Englewood Cliffs, N.J.
Takayama, A. (1985) Mathematical Economics, 2 nd Edition, Cambridage Univ. Press, Cambridge.
Modigliani, F. and R.E. Brumberg (1954) Utility Analysis and the Consumption Function,» in K.Kurihara, ed., Post-Keynesian Economics, Rutgers Univ. Press, New Brunswick, N.J.
Modigliani, F. (1975) «The Life-Cycle Hypothesis of Saving Twenty Years Later», In M. Parkin, Ed. Contemporary Issues in Economics, Manchester Univ. Press, Manchester.
Branson , W.H. (1989) Macroeconomic Theory and Policy, 3rd Edition , Harper and Row , New York.
Henderson, J.M. and R.E. Quandt (1980) Microeconomic Theory: A Mathematical Approach, 3rd Edition, McGraw-Hill, New York.
Friedman. M. (1953) «The Methodology of Positive Economics», in Friedman (1966) Essays in Positive Economics, Univ. Of Chicago Press, Chicago, PP. 3-43.
Hutchinson T.W. (1964) Positive Economics and Policy Objectives, George Allen and Unwin, London.
Popper, K.R (1959) The Logicof Scientific Discovery , Hutchinson, Hondon.
Hitti, P.K. (1968) «Al-Sha fii: Founder of the Science of Islamic Law» In Hitti, Makers of Arab History, St. Martin's New York, PP. 167-183.
Al-Nowaihi, M. (1975) «Problems of Modernization in Islam», reprinted in N.S. Hopkins and S.E. Ibrahim (1985) Arab Society: Social Science Perspective, American Univ. in Cairo (AUC) Press, Cairo, PP. 485-493
Kuran, Timur (1989) «On The Notion of Economic Justice in Contemporary Islamic Thought», International Journal Journal of Middle East Studies, Vol. 21, No. 2, PP. 171-191.



صدر من السلسلة :

١ ـ دليل الضرائب مارس ١٩٨٨
٢ ـ بنوك مصر ابريل ١٩٨٨
٣ ـ تنمية المال فى الاقتصاد الاسلامى مايو ١٩٨٨
٤ ـ شركات توظيف الاموال يونيو ١٩٨٨
٥ ـ دليل الجامعات ومؤشرات القبول يوليو ١٩٨٨
٦ ـ صناعة الدواء المافيا العالمية اغسطس ١٩٨٨
٧ ـ التنمية الصناعية فى مصر سبتمبر ١٩٨٨
٨ ـ البنوك الاسلامية اكتوبر ١٩٨٨
٩ ـ الدليل القانونى لتوظيف الاموال نوفمبر ١٩٨٨
١٠ ـ المعونة الامريكية لمن مصر ام امريكا ديسمبر ١٩٨٨
١١ ـ قرارات النقد الاجنبى والسوق المصرفية يناير ١٩٨٩
١٢ ـ دليل الضرائب الجزء الاول فبراير ١٩٨٩
١٣ ـ دليل الضرائب الجزء الثانى مارس ١٩٨٩
١٤ ـ الفتاوى الاسلامية فى القضايا الاقتصادية الجزء الاول ابريل ١٩٨٩
١٥ ـ الفتاوى الاسلامية فى القضايا الاقتصادية ـ الجزء الثانى مايو ١٩٨٩
١٦ ـ صناعة السياسة الاقتصادية فى مصر (٧٤ ـ ١٩٨١) يونيو ١٩٨٩
١٧ ـ كيف تستورد سيارة يوليو ١٩٨٩
١٨ ـ دليل التعامل مع الجمارك اغسطس ١٩٨٩
١٩ ـ القوانين الاقتصادية الجديدة سبتمبر ١٩٨٩
٢٠ ـ اتجاهات السياسة الضريبية واثرها على الاستثمار اكتوبر ١٩٨٩
٢١ ـ ديون مصر وديون العالم نوفمبر ١٩٨٩
٢٢ ـ دليل المصطلحات الاقتصادية القومية ديسمبر ١٩٨٩
٢٣ ـ العاملون فى الخارج بين الضياع والتنظيم يناير ١٩٩٠
٢٤ ـ دليل الضرائب ـ الجزء الاول فبراير ١٩٩٠
٢٥ ـ دليل الضرائب ـ الجزء الثانى ـ مارس ١٩٩٠
٢٦ ـ الفتاوى الاسلامية فى القضايا الاقتصادية ـ ابريل ١٩٩٠
٢٧ ـ شركات توظيف الاموال والانفتاح الاقتصادى مايو ١٩٩٠
٢٨ ـ تجربة البنوك الاسلامية يونيو ١٩٩٠
٢٩ ـ التجربة الليبرالية فى مصر واداء شركات القطاع العام يوليو ١٩٩٠
٣٠ ـ تشريعات الاستثمار اغسطس ١٩٩٠
٣١ ـ دليل الاستثمار فى مشروعات التنمية الاقتصادية سبتمبر ١٩٩٠
٣٢ ـ زلزال الخليج من الغزو العراقى الى المجهول اكتوبر ١٩٩٠
٣٣ ـ الشركات دولية النشاط نوفمبر ١٩٩٠
٣٤ ـ دليل استصلاح الاراضى ديسمبر ١٩٩٠
٣٥ ـ الادارة الجديدة فى ضوء المتغيرات البيئية يناير ١٩٩١
٣٦ ـ دليل الضرائب فبراير ١٩٩١

٣٧ ـ التطورات الدولية الجارية ـ فرص ومحاذير مارس ١٩٩١
٣٨ ـ السوق الدولية للسلاح وعلاقتها بالدول النامية ابريل ١٩٩١
٣٩ ـ المعاملة الضريبية للمشروعات الاستثمارية مايو ١٩٩١
٤٠ ـ اللائحة التنفيذية الجديدة لقانون النقد الاجنبى يونيو ١٩٩١
٤١ ـ ضريبة المبيعات ، القانون واللائحة التنفيذية يوليو ١٩٩١
٤٢ ـ القواعد الجديدة للتصدير والاستيراد اغسطس ١٩٩١
٤٣ ـ الاصلاح الاقتصادى فى مصر والتطورات الدولية سبتمبر ١٩٩١
٤٤ ـ عالم الغد .. عالم واحد ام عوالم متعددة اكتوبر ١٩٩١
٤٥ ـ قانون سرية الحسابات بالبنوك نوفمبر ١٩٩١
٤٩ ـ الضرائب ودورها فى علاج عجز الموازنة ديسمبر ١٩٩١
٤٧ ـ مصر بين الازمة والنهضة يناير ١٩٩٢
٤٨ ـ دليل الضرائب فبراير ١٩٩٢


.273
538
0546921